سلسلة آداب طالب العلم

(١) طالب العلم والقراءة

(٢) طالب العلم والكتب

كيف تقرأ كتاباً؟

محمد صالح المنجد

دار الوطن

الرياض ـ شارع المعذر ـ ص . ب ٣٣١٠

☎ ٤٧٩٢٠٤٢ ـ فاكس ٤٧٦٤٦٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف تقرأ كتاباً؟

ح دار الوطن للنشر ، ١٤١٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المنجد ، محمد صالح
كيف تقرأ كتاباً ـ الرياض .
٧٢ ص ؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك ٧ ـ ٠٥٢ ـ ٢٨ ـ ٩٩٦٠
١ ـ الثقافة الإسلامية ٢ ـ القراءة ٣ ـ التعليم
أ ـ العنوان
دبوي ٢١٤ ١٦/٢٨٧٢

رقم الإيداع : ٢٨٧٢/ ١٦
ردمك ٧ ـ ٠٥٢ ـ ٢٨ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ

مقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد :

فالحمد لله الذي خلق أول ما خلق القلم فقال : اكتب، فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة . والشكر له سبحانه الذي امتن على عباده بنعمة القلم والكتابة وذكّر بها بقوله : ﴿ **نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** ۝١ ﴾ [**القلم**: ١] فدلّ القَسَم على عظم القلم والكتابة لأنه تعالى لا يُقسم إلا بعظيم ، ومن نعمه سبحانه التي امتن بها على عباده نعمة البيان التي ذكرها في قوله جلّ شأنه : ﴿ **خَلَقَ الإنسَانَ** ۝٣ **عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ۝٤ ﴾ [**الرحمن**: ٣، ٤] ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : (ثم تأمل نعمة الله على الإنسان بالبيانين : البيان النطقي، والبيان الخطيّ . . . فقال في أول سورة أنزلت على رسول الله ﷺ ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ۝١ **خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ** ۝٢ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ** ۝٣ **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** ۝٤ **عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ۝٥ ﴾ [**العلق**: ١ - ٥] ثم قال : (التعليم بالقلم الذي هو من أعظم نعمه على عباده؛ إذ به تخلد العلوم، وتثبت الحقوق، وتُعلم الوصايا، وتُحفظ الشهادات، ويُضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس وبه تقيد أخبار الماضين للباقين اللاّحقين ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض، ودَرَست السُنن وتخبّطت الأحكام، ولم يعرف الخلف مذاهب السلف . وكان معظم الخلل الداخل

على الناس في دينهم إنما يعتريهم من النسيان الذي يمحو صور العلم من قلوبهم ؛ فجعل لهم الكتاب وعاءً حافظاً كالأوعية التي تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان ، فنعمة الله عز وجل بتعليم القلم بعد القرآن من أجلّ النعم)[١] .

وهو سبحانه الذي علم الإنسان الكتابة : ﴿ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ ﴾ [**العلق** : ٥] ، علمه الكلام فتكلم ، وأعطاه القلب الذي يعقل به ، واللسان الذي يترجم به ، والبنان الذي يخط به ، (فكم لله من آية نحن عنها غافلون في التعلم بالقلم ، فقفْ وقفة في حال الكتابة وتأمل حالك وقد أمسكت القلم وهو جماد ووضعته على القرطاس وهو جماد فتولّد من بينهما أنواع الحكم وأصناف العلوم وفنون المراسلات والخطب والنظم والنثر وجوابات المسائل . . .)[٢] .

وقد أنزل الله أعظم كتاب هو القرآن ، وندبنا إلى تلاوته، ورغّب رسوله ﷺ في القراءة في المصحف[٣] . وقام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بالعمل العظيم الجليل وهو جمع القرآن ونسخ المصاحف وقرأوا فيها حتى تخرقت عند بعضهم من كثرة القراءة ، وكان علم الصحابة والتابعين في الصدور فهي كانت خزائن العلم لهم ، ولم يكونوا يكتبون الحديث في أول الأمر إنما كانوا يؤدونه لفظاً ويأخذونه حفظاً ، وكانوا يخشون إذا كتبوا

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ، ص : ٢٧٩ ، ط . دار الكتب العلمية .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٢٧٩ .

(٣) حديث : « **من سرّه أن يحبَّ الله ورسوله فليقرأ في المصحف** » أخرجه أبو نعيم في الحلية ٧/ ٢٠٩ وحسنه في صحيح الجامع رقم ٢٦٨٩ ، وانظر السلسلة الصحيحة رقم ٢٣٤٢ ونقل حكم الذهبي بالبطلان وإقرار ابن حجر بنكارته .

الحديث أن يختلط بالقرآن وأن يؤثر ذلك في قوة الحفظ ، فلما استقر القرآن في الصدور وضبطه الناس، وطالت أسانيد الأحاديث، وصعُب الحفظ ؛ اتجهت الهمم إلى التدوين ، فدُوِّنت السنة ، وجُمع العلم في الدواوين والكتب ؛ فصارت الكتب تقييداً للعلم كما جاء في الأثر : (قيدوا العلم بالكتابة)[1] .

ومما يدل على مشروعية هذا العمل أيضاً قول الله عز وجل : ﴿ وَلا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلاَّ تَرْتَابُوا ﴾ [البقرة: ٢٨٢] . (فلما أمر الله تعالى بكتابة الدّين حفظاً له واحتياطاً عليه وإشفاقاً من دخول الرَّيْب فيه ، كان العلم الذي حفظه أصعب من حفظ الدّين أحرى أن تُباح كتابته خوفاً من دخول الريب والشكّ فيه)[2] .

---

(١) وقد رُوي مرفوعاً وموقوفاً ، فممن رواه مرفوعاً الخطيب البغدادي في تقييد العلم ت : يوسف العش ، ص : ٦٩ ، والحاكم ١/ ١٠٦ بلفظ : (قيدوا العلم) . قلت : وما تقييده ؟ قال : (كتابته) . قال الألباني : وقد رُوي هذا الحديث مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يصح . تخريج العلم لابن أبي خيثمة رقم ١٢٠ ولكنه صحح الحديث بطرقه في السلسلة الصحيحة رقم ٢٠٢٦ والحديث موقوفاً أخرجه الحاكم ١/ ١٠٦ ، والطبراني في المعجم الكبير عن أنس ١ / ٢٤٦ وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح : المجمع ١ / ١٥٢ ، وصحح الحاكم روايته عن عمر بن الخطاب وأنس رضي الله عنهما ، وصححه الذهبي من قول أنس . المستدرك ١/ ١٠٦ .

(٢) تقييد العلم ، ص : ٧١ .

مكانة الكتب عند علماء المسلمين

كانت لكتب العلم مكانة عظيمة في نفوس العلماء ؛ فهي جليسهم الذي لا يُمَلّ ، ورفيقهم في السفر ، ومائدتهم في الجلسات ، وأنيسهم في الخلوات . قيل لابن المبارك : يا أبا عبد الرحمن ، لو خرجت فجلست مع أصحابك ، قال : إني إذا كنت في المنزل جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . يعني النظر في الكتب . وقال شفيق بن إبراهيم البلخي : قلنا لابن المبارك : إذا صليت معنا لِمَ لا تجلس معنا ؟ قال أذهب فأجلس مع التابعين والصحابة . قلنا : فأين التابعون والصحابة ؟ قال : أذهب فأنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم . ما أصنع معكم ؟ أنتم تجلسون تغتابون الناس (١) . وكان الزهري ـ رحمه الله ـ قد جمع من الكتب شيئاً عظيماً ، وكان يلازمها ملازمة شديدة حتى أن زوجته قالت : (والله إن هذه الكتب أشدّ عليّ من ثلاث ضرائر) (٢) . وقيل لبعضهم : من يؤنسك؟ فضرب بيده إلى كتبه وقال : هذه . فقيل : مِنَ الناس ؟ فقال : الذين فيها (٣) .

وكانوا ـ رحمهم الله ـ يقرؤون في جميع أحوالهم ، يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (وأعرف مَن أصابه مرض من صداع وحمى ، وكان الكتاب عند رأسه ، فإذا وجد إفاقة قرأ فيه فإذا غُلب عليه وضعه ، فدخل عليه

(١) تقييد العلم ، ص : ١٢٦ .

(٢) شذرات الذهب ١/ ٦٣ .

(٣) تقييد العلم ،ص : ١٢٥ .

الطبيب يوماً وهو كذلك فقال : إن هذا لا يحلّ لك . .)[(١)] . وروي عن الحسن اللؤلؤي أنه قال : لقد غبرت لي أربعون عاماً ما قمت ولا نمت إلا والكتاب على صدري[(٢)] . وكان بعضهم ينام والدفاتر حول فراشه ينظر فيها متى انتبه من نومه وقبل أن ينام[(٣)] . وكان الحافظ الخطيب البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ يمشي وفي يده جزء يطالعه ، وكان بعض أهل العلم يشترط على مَن يدعوه أن يوفّر له مكاناً في المجلس يضع فيه كتاباً ليقرأ فيه[(٤)] . وربما احترق طرف عمامة أحدهم بالسراج الذي يضعه أمامه للقراءة وهو لا يشعر حتى يصل ذلك إلى بعض شعره . وقال أبو العباس المبرد : مارأيت أحرص على العلم من ثلاثة : الجاحظ ـ وكان معتزلياً من أهل البدعة ـ والفتح بن خاقان ، وإسماعيل بن إسحاق القاضي . فأما الجاحظ فإنه كان إذا وقع في يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره ، أيّ كتاب كان . وأما الفتح فكان يحمل الكتاب في خُفِّه فإذا قام من بين يدي المتوكل ليبول أو ليصلي أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريد ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ مجلسه . وأما إسماعيل بن إسحاق فإني ما دخلت عليه قط إلا وفي يده كتاب ينظر فيه أو يقلّب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه[(٥)] .

ولقد كان حِرْصُ السلف وعلماء المسلمين على جمع الكتب والنظر

---

(١) روضة المحبين لابن القيم ، ص : ٧٠ ، ط . دار الكتب العلمية .

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، ت : الزهيري . دار ابن الجوزي ٢/ ١٢٣١ .

(٣) تقييد العلم للخطيب ، ص : ١٢٤ .

(٤) الحث على طلب العلم للعسكري ، ص : ٤٠ .

(٥) تقييد العلم ، ص : ١٤٠ .

فيها عظيماً ، قال ابن الجوزي ـ رحمه الله : (وإني أخبر عن حالي ، ما أشبع من مطالعة الكتب ، وإذا رأيت كتاباً لم أره فكأني وقعت على كنز . ولو قلت إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر وأنا بعدُ في الطلب) [١] .

وقال بعضهم : (إذا استحسنت الكتاب واستجدته ورجوت منه الفائدة ورأيت ذلك فيه ، فلو تراني وأنا ساعة بعد ساعة أنظر كم بقي من ورقة مخافة استنفاده) [٢] .

وكانوا ينفقون في تحصيل الكتب الأموال الطائلة وربما أنفق بعضهم كل ما يملك في ذلك ، قال بعضهم لما عاتبته زوجته في كثرة ما ينفق على الكتب :

وقائلة أنفقتَ في الكتب ما حوت يمينُك من مال فقلت دعيني

لعلي أرى فيها كتاباً يدلّني لأخذ كتابي آمناً بيميني

واشترى الفيروزآبادي بخمسين ألف مثقال ذهباً كتباً ، وكان لا يسافر إلا ومعه أحمال منها ينظر فيها كلما نزل في سفره [٣] .

وكان بعض العلماء يحسبون عند تفصيل ثيابهم حساب الكتب ، فهذا أبو داود ـ رحمه الله ـ كان له كُمٌّ واسع وكم ضيق ، فقيل له في ذلك فقال : (الواسع للكتب والآخر لا يُحتاج إليه) [٤] .

وكان عند بعضهم خزانة كتب ليس فيها كتاب إلا وله ثلاث نسخ .

وبلغ من اهتمامهم بالكتب أنهم ألفوا تآليف خاصة ذات فصول

---

(١) صيد الخاطر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ص : ٤٤٠ .
(٢) الحيوان : ١ / ٥٣ .
(٣) الضوء اللامع : ١٠ / ٨١ .
(٤) تذكرة الحفاظ : ٢ / ٥٩٢ .

وأبواب عن آداب طالب العلم مع كتابه ، وكيفية النسخ ، والحث على الجيد من الورق ، وصفة القلم الذي يكتب به والحبر ولونه ، وطرق المحافظة على الكتاب ، وغير ذلك من الآداب .

مزايا الكتاب

الكتاب جارٌ بارٌ ، ومعلم خاضع ، ورفيق مطاوع لا يعصيك أبداً ، هل رأيت معلّماً يخضع للتلميذ ؟ كذلك الكتاب يخضع للقارىء . وهو كذلك صاحبٌ كفء ، وشجرةٌ معمّرة دائماً مثمرة ، يجمع الحِكَم الحسنة والعقول الناضجة وأخبار القرون الماضية والبلاد المترامية ، يجلو العقل ، ويشحذ الذهن ، ويوسع الأفق ، ويقوّي العزيمة ، ويؤنس الوحشة ، يفيد ولا يستفيد ، ويعطي ولا يأخذ :

نِعمَ الأنيسُ إذا خلوت كتابٌ تلهو به إن خانك الأصحاب
لا مفشياً سرّاً إذا استودعته وتُنال منه حكمة وصواب

وقال أبو بكر القفال (١) :

خليلي كتابي لا يعاف وصاليا وإن قلّ لي مال وولى جماليا
كتابي أب بَرّ وأم شفيقة هما هو ، إذ لا أمٌّ أو أبا ليا
كتابي جليسي لا أخاف ملاله محدّث صدق لا يخاف ملاليا
محدّث أخبار القرون التي مضت كأني أرى تلك القرون الخواليا
كتابي بحر لا يَغيض عطاؤه يُفيض عليّ المال إن غاض ماليا

(١) تقييد العلم، ص : ١٢٧ .

كتابي دليل على خـير غايـة | فمن ثَمَّ إدلالي ومنـه دلاليا
إذا زغت عن قصد السبيل أقامني | وإن ضلّ ذهني ردني عن ضلاليا

وقال كلثوم بن عمرو العتابي [(١)] :

لنا جلسـاء ما نمـلّ حديثهم | ألبّاء مأمونـون غيباً ومشهـدا
يفيدوننا من رأيهم علم مَن مضى | وعقـلاً وتأديبـاً ورأيـاً مسدّدا
بلا مؤنة تُخشى ولا سوء عشـرة | ولا نتقي منهم لساناً ولا يـدا
فإن قلت موتى فلست بكـاذب | وإن قلت أحياء فلسـت مفنّـدا

والكتاب : (نعمَ الجليس والعدة . . . ونعم الأنيس لساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغُربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل. . . إن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت عجبت من غرائب فوائده، وإن شئت ألهتك طرائفه، وإن شئت أشجتك مواعظه . . . يجمع لك الأول والآخر . . والخفي والظاهر . . . ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء. . . أكتم للسرّ من صاحب السرّ، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة . . . لا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق ، ولايحتال لك بالكذب . . . والكتاب

---

(١) بعث أبو أيوب أحمد بن محمد بن شجاع غلاماً من غلمانه إلى أبي عبد الله بن الأعرابي يسأله المجيء إليه فعاد إليه الغلام فقال : قد سألته ذلك فقال لي : عندي قوم من الأعراب فإذا قضيت أربي معهم أتيت . قال الغلام : وما رأيت عنده أحداً إلا أن بين يديه كتباً ينظر فيها ، فينظر في هذا مرة وفي هذا مرة ثم ما شعرنا حتى جاء ، فقال له أبو أيوب : يا أبا عبدالله ، سبحان الله العظيم ، تخلّفت عنا وحرمتنا الأنس بك ، ولقد قال لي الغلام إنه ما رأى عندك أحداً وقلت أنت مع قوم من الأعراب فإذا قضيت أربي معهم أتيت ، فأنشد ابن الأعرابي الأبيات الأربعة . تقييد العلم ، ص : ١٤٣ .

هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك وشحن طباعك وبسط لسانك وجوّد بَنانك وفخّم ألفاظك . . . وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر . . . والكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار ، ويُطيعك في السفر كطاعته في الحضر ، ولا يعتلّ بنوم ولا يعتريه كلال السفر)[١] .

والكتب لا تعرف الفواصل الزمانية ولا المكانية ولا الحدود الجغرافية ؛ فيستطيع القارىء أن يعيش في كل العصور وفي كل الممالك والأقطار وأن يصاحب العظماء وأعمالهم وإن استغرقت أعواماً .

وتأمَّل حال المسلم عندما يقرأ قصص الأنبياء في القرآن الكريم ، عاشوا في بلادٍ متباعدة ، في أزمنة قديمة متطاولة ، وهو مع ذلك يقرأ قصصهم كأنه يعيش معهم . فينظر في قصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط وغيرهم من الأنبياء والصالحين الواردة أخبارُهم في القرآن والسنة ؛ ونحن نقرأ أخبارهم نشعر كأننا نعيش معهم ، فتأمل هذه النعمة ما أتتنا إلا بالكتاب ، فما أعظم شأنه ! وأي نعمة هو .

لماذا نقرأ ؟

المسلم يقرأ :

ـ لينال ثواب القراءة كما في قراءة القرآن العظيم .

---

(١) من كلام الجاحظ المعتزلي في نعت الكتاب : ١ / ٣٨ ـ ٤٢ ، بتصرف . كتاب الحيوان ، ت : عبد السلام هارون . دار إحياء التراث العربي .

ـ ويقرأ ليتعلم العلم الشرعي ويتفقه في دينه .

ـ ويكرر القراءة ليحفظ .

ـ ويقرأ كذلك ليعلم مؤامرات الكافرين ويحذر من شبهات المنافقين والمنحرفين .

ـ ويقرأ لتنمية مهارته اللغوية وتحصيل العلوم الدنيوية النافعة .

ـ ويقرأ ليشغل نفسه عن الباطل لأن النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية .

ـ ويقرأ أيضاً للترويح والتسلية المباحة .

إلى غير ذلك من المقاصد الشرعية والفوائد الدنيوية .

أما المنهج الجاهلي فإنه يعتبر الشَّعب مثقفاً إذا كان فيه أعداد كبيرة من القرّاء بغض النظر عما يقرؤون ، وأصحاب المنهج الجاهلي يقولون القراءة للقراءة ، والفن للفن (١) .

فهم يجعلون القراءة غاية وليست وسيلة ، ولذلك فهم يقرؤون ما هبَّ ودبّ دون تمحيص ولا تمييز ، أما المسلم فالقراءة عنده وسيلة لتحقيق الهدف وهو مرضاة الله تعالى .

---

(١) الفن كلمة شريفة وجميلة عند المسلمين ، فيقولون : فن الفقه ، فن التجويد ، فن القراءات، فن الأصول ، فن النحو ، فن الصرف ، وهكذا . لكن في هذا الزمان استخدم أهل الجاهلية هذه الكلمة استخداماً سيئاً ، وجعلوا لها مدلولاً معيناً في نفس السامع ، فهو إذا سمع كلمة الفن فإنها تعني الموسيقي ، الغناء ، الرقص ، نحت التماثيل، ويسمونها بالفنون الجميلة ! وهي قبيحة عند الله .

فهو لا يقرأ ليجاري العلماء ويماري السفهاء ويصرف وجوه الناس إليه ؛ لأن من فعل ذلك أدخله الله جهنم (١) .

ولا يقرأ ليتتبَّع العثرات ويتصيّد الزلات ؛ لأنه ليس من الإخلاص (٢) .

ولا يقرأ ما لا نَفْعَ فيه في دينه ودنياه ؛ لأن وقته أثمن من ذلك .

وإن مما ابتلينا به في زماننا هذا الأخذ دون تمحيص والقراءة لأصحاب المناهج الأخرى دون نقد وتمييز ، وقد نتج عن ذلك ـ في مجتمعات المسلمين ـ ظهورُ أعداد كبيرة من أنموذج : (القارىء الإمّعة) الذي يكون بوقاً مضخِّماً لهجمات أعداء الإسلام ؛ لأنه لا يميز فيما يقرأ بين الخير والشر ، فيتعلم ما يضره ولا ينفعه ، ويقرأ ما سطرته أيدي أعداء الإسلام ، وينشر ذلك بين الناس دون وعي ولا إدراك .

كيف تكون قراءتنا واعية ؟

لا بد أن يكون التكوين العَقَدي للقارىء المسلم سليماً وقويًا حتى يستطيع أن يقرأ بوعْي . وهذا يعني أن تكون قراءاته الأولية تأسيسية ـ فينتقي

---

(١) وهذا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن ماجه ٢٦٠ وغيره وقال الألباني : حديث صحيح ، ورواه الحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري ومسلم ، ووافقه الذهبي . تخريج اقتضاء العلم العمل رقم ١٠١ .

(٢) قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى : أدركت بهذه البلدة ـ يعني المدينة ـ أقواماً ليس لهم عيوب فعابوا الناس فصارت لهم عيوب ، وأدركت بهذه البلدة أقواماً كانت لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس فنُسيت عيوبهم . الإعلان بالتوبيخ للسخاوي ١٠٦ في الخاتمة .

ما يقرأ في البداية ـ حتى يؤسس وعياً يستطيع من خلاله إذا قرأ كتاباً أن ينقده على ضوء مشكاة الإسلام ، فالتأسيس والتربية منطلق لتقويم الكتب وميزان للتمييز والنقد .

ويجب على القارىء المسلم استحضار ميزان النقد على نور الشريعة خلال قراءته وخصوصاً في الكتب المشبوهة والمجهولة ، فينقد ما يقرأ على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة وما يعرفه من الأدلة الشرعية ورصيده من الأحاديث الصحيحة والسقيمة ، وبهذا تكون القراءة واعية ومبصرة .

ومن الأمور التي تنافي الوعي :

١ التسليم والتقليد الأعمى لكل ما هو مكتوب أو مطبوع ، والثقة به وقبوله دون تمحيص أو نقد .

٢ الشك في الحقائق والمعلومات المؤكدة لمجرد أن الشيء المخالف مطبوع .

٣ الانخداع بالتضخيم والدعاية التي تُصنع لبعض الكتب والمؤلفين والتلميع المقصود لأسماء بعض الكتّاب من المبتدعة والمنافقين مما يؤدي إلى التفخيم والإعظام لهؤلاء الأقزام والخطأ في تقدير القيمة الحقيقية للمؤلّفات والمؤلّفين .

٤ الامتناع عن قراءة كتب بعض المؤلفين من أولي العلم والنُهى الثقات تأثراً بدعاية حاسد واستجابة لتنفير من ليس بثقة (١) .

٥ عدم الانتباه لانحرافات الكتّاب المضلين الذين يبثون بدعهم وضلالاتهم

---

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة قتادة بن دعامة السدوسي ـ رحمه الله ـ : قال عفان : قال لنا قيس بن الربيع : قَدم علينا قتادة الكوفة ، فأردنا أن نأتيه فقيل لنا : إنه يُبغض عليا رضي الله عنه فلم نأته ، ثم قيل لنا بعد : إنه أبعد الناس من هذا ، فأخذنا عن=

وسمومهم خلال كتبهم ومقالاتهم .

ولهؤلاء أساليب منها:

- بتر النصّ ليوهم معنى باطلاً .
- تحريف النصوص وقلبها والدسّ فيها والزيادة .
- إيراد النصّ في غير موضع الاستشهاد .
- تفسير النصّ بغير معناه الشرعي المراد .
- الاستشهاد بالمكذوب والمصنوع من الأحاديث والآثار ، ونسبة أقوال إلى من هو بريء منها .

= رجل عنه . السير ٥/ ٢٧٢ فتأمل كيف فاتهم علوّ السند وحُرِمُوا من الرواية عن قتادة مباشرة بسبب الإشاعة الباطلة .

ومن الأمثلة القريبة ما حصل للشيخ المصلح . عبد الله القرعاوي - رحمه الله - وكان قد سافر إلى الهند ودرس على بعض علمائها ، وكان من بينهم شيخ لا يمرّ به ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب إلا صبَّ عليه سياط غضبه ثمّ يختم ذلك بالتضرّع إلى الله أن ينقذ الإسلام والمسلمين من شر دعوته إلى يوم الدين حتى ليكاد يجعل من ذلك ورده الملزوم في أعقاب كل درس . يقول الشيخ القرعاوي : ولم يكن معقولاً أن أواجه الرجل بأي اعتراض على فكرة يمتلئ صدره وصدور سامعيه إيماناً بها ، لذلك عمدت إلى الحيلة فأخذت كتاب التوحيد تأليف الإمام محمد بن عبد الوهاب ونزعت عنه غلافه الذي يحمل اسمه ثم تركته على منضدة الشيخ دون أن يعلم مصدره ، وشاء الله أن يقرأ الشيخ ذلك الكتاب ويستوعبه بدقّة فراح يُبدي به إعجابه ويسأل عن مؤلفه العظيم ، حينئذ أعلنت له الواقع ، فما كان من الرجل إلا أن قال : لقد ظلمنا هذا المصلح كثيراً ولا نجد كفارة لما أسلفنا إلا أن ندعو له بمقدار ما دعونا عليه .

انظر : علماء ومفكرون عرفتهم ، محمد المجذوب ، ص : ٩٨ - ٩٩ ، دار النفائس ، ط . الأولى ١٣٩٧هـ . فهكذا تحول الدعاية المُغرضة بين الناس وكتب أهل العلم الثقات .

- الاحتكام إلى القواعد المنافية للشريعة ، كرفض النصّ الصحيح بدعوى مخالفته للعقل ، وكالادعاء أن للنصّ ظاهراً وباطناً .

- الاستدلال بأقوال أهل الباطل وجمعها وتكثيرها وسَوْقها لتقوية الكلام .

- إيراد الأقوال الضعيفة والآراء الشاذة .

- إثارة الشبهات وحشدها وإحكام سبكها ثمّ السكوت وترك الموقف أو الإجابة عليها بردٍّ ضعيف متهافت (١) .

- استخدام الحلف الكاذب والمؤكدات المختلفة لإنفاق البضاعة الكاسدة شرعاً .

- التظاهر بنصرة الدين والغيرة على الشريعة .

- امتداح المنحرفين والضالين ، والذمّ والوقيعة في أهل العلم وأصحاب المنهج السليم .

- استعمال الألفاظ البرّاقة كالحرية والتقريب والتجديد والتحديث والتطوير والتنوير .

- استخدام الأسلوب غير المباشر في عرض الفكرة الخبيثة بحيث يدع القارىء يستنبطها وحده ؛ فهو يعرض المقدمات الفاسدة ويترك النتيجة الفاسدة ليتبناها القارئ وكثيراً ما يتظاهر الكاتب بالبراءة ، ولذلك فإن من المهم **التعرف على المعنى المخبوء داخل الفقرة أو قراءة ما بين السطور كما يقولون** ، ومن المهم في مثل

---

(١) كما قيل عن الفخر الرازي أنه كان يورد الشبه نقداً ويحلّها نسيئة .

هذه الحالات معرفة عقيدة الكاتب وانتماءاته الفكرية ؛ وهذا يتبين بالخبرة والسؤال .

إن كثيراً من أسباب التضليل السابقة لا يمكن إدراكها إلا بحصيلة من العلم تكشف الزّيف وتهتك أستار الباطل . ومن هنا تنبع أهمية البناء العلمي الشرعي للقارئ المسلم عبر التلقي بالمشافهة من أهل العلم وكتب العلم الموثوقة ؛ لتكوين الوعي المطلوب قبل خوض غمار الكتب المتنوعة . وينبغي على القارئ المسلم الحذر من هذه الأساليب وغيرها لئلا يكتسب معلومة باطلة أو تتسلل إلى نفسه جرثومة شبهة خبيثة .

٦ عدم اكتشاف مبالغات الكاتب وادعاءاته والغفلة عن التناقضات التي يقع فيها في كتابه أو كتبه ، فقد يأتي بفكرة ثم يناقضها بعد حين أو يدّعي في مقدمة كتابه الالتزام بالمنهج السليم أو الإنصاف ثم يخالف ذلك .

وبعد هذا العرض لقضية الوعي والقراءة ننتقل للحديث عن قضية رئيسة في الموضوع وهي :

العداوة والنفور بين الناس والكتب

إن من أكبر مشكلات القراءة الحاصلة عند كثير من الناس هي النفرة من الكتاب والتي تكاد تصل إلى العداوة أحياناً ، وعدد من الناس يشكو من سرعة السآمة والملل إذا فتح الكتاب وخصوصاً الكتب الجادة ، ولذلك نرى اليوم في الواقع ظاهرة سيئة وهي الإعراض عن الكتب الشرعية المفيدة والإقبال على الكتب التافهة والقصص الفارغة والمجلات ذات الصور

والألوان وأخبار الرياضة والفن . وصار عدونا يتبجَّح بأن العرب لا يقرؤون، وإذا قرأوا لا يفهمون، وإذا فهموا لا يعلمون .

لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ　　إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ

وكذلك فإن من الظواهر السلبية أن عدداً من الخريجين قد توقفوا عن القراءة بعد تخرجهم ، ويعاني عدد من المدرسين من التناقص السريع لمعلوماتهم عاماً بعد عام ، وتوقف العديد عن القراءة في تخصصاتهم بينما المعارف تتراكم والعلم يزداد .

وإن مما يَحزّ في النفس الإعراض عن اقتناء الكتب بل وحتى عن استعارتها من المَكتبات العامة أو الخيرية ، وربما يبقى الوقف معطلاً لايستفاد منه بسبب هذا الإعراض ! ومما يحزّ في النفس أيضاً أن تجد عدداً من الناس يشترون الكتب ولكنها تبقى حبيسة في رفوف مكتباتهم يعلوها الغبار ، لا ينفسّون عنها بفتحها والقراءة فيها ، وصار من المألوف أن ترى الكتاب الملتصقة بعض صفحاته في مواضع شاهدة على أنه لم يُفتح .

وقد قال الشاعر في الذي يجمع الكتب دون النظر فيها ولا الاستفادة :

إذا لم تكن حافظاً واعياً　　فجمعُك للكتب لا ينفع

تحضر بالجهل في مجلس　　وعلمك في البيت مستودع

ويبقى السؤال مطروحاً : لماذا لا يُقبل الناس على الكتاب وبالذات الكتاب المفيد ؟ لماذا ينفرون من القراءة ؟ ولمَاذا توجد عقدة عند بعض الناس وعداوة بينه وبين الكتاب ؟ للإجابة على هذه الأسئلة لا بد من التعرف على :

أسباب العداوة والنفور بين الناس وبين الكتاب

فمن ذلك :

١ سرعة الملل ، وقلة الصبر وفقدان الجلَد في المكث والعكوف الذي تتطلبه القراءة ، ويظهر هذا بوضوح عند الأشخاص أصحاب الطبيعة الحركية الذين يحبون كثرة الذهاب والمجيء والمجهود العضلي ولا يطيقون الجلوس في مكان واحد مدة طويلة .

٢ عدم معرفة قيمة القراءة وفضلها ، والإنسان عدو ما يجهل .

٣ طول الكتاب أو الموضوع .

٤ الخطأ في الابتداء : إذ القراءة في الكتب المتقدمة في الفن قبل الكتب الميسرة أو الأساسية فيه من الأخطاء التي تسبب النفور من القراءة .

٥ علو أسلوب الكاتب في اللغة والمضمون ؛ كأسلوب كثير من القدامى من علمائنا الأجلاء ، وقد يكون مكتوباً بلغة تتناسب مع مستوى القارئ في ذلك العصر بالإضافة إلى اللغة الفصيحة الرصينة التي تناسب الكتابة العلمية الشرعية ، فإذا أضيف إلى ذلك تدهور المستوى اللغوي للقارئ المعاصر مع فشو العامية المقيتة وهجران الفصحى لغة القرآن . فماذا عسى القارئ العادي أن يفقهه ؟ فصار النفور وحصل الطعن في الكتب الصفراء (زعموا !) مع أن العلم فيها ، وحقاً إنّ مؤلَّفات الأولين قليلة كثيرة البركة ومؤلفات المتأخرين كثيرة قليلة البركة [(١)] .

(١) سيأتي الكلام على مزايا كتب المتقدمين .

٦ عدم معرفة المصطلحات المتكررة في الكتاب فيكون الاصطدام بهذه العقبة عائقاً في الفهم والقراءة .

٧ عدم وجود الأقران الذين يحثّون ويشجعون أصحابهم على القراءة، أو الابتلاء بأقران يزهدونهم في العلم ، فالمرء بقرينه .

٨ استبدال الغثُّ بالسمين والانشغال بالمقروءات الضارة كالمجلات التافهة والصحف الرياضية وغيرها عن الكتب المفيدة .

٩ عدم تشجيع القراءة في المجتمع ، وانكباب الطلاب على المقررات الدراسية فقط بل وحتى الجامعات يُكتفى فيها بالمذكِّرات بدلاً من البحث العلمي الموسّع ! ومما يؤسف له أن بعض الآباء إذا لاحظ وجود كتاب غير مدرسي في يد ابنه نهره عن قراءته وأمره بالالتزام بالكتب المدرسية فقط .

١٠ عدم الاستشارة في الانتقاء والابتداء أو استشارة من ليس بأهل .

١١ ضعف المعرفة بقواعد اللغة العربية ، والقصور في فهم معاني كلماتها، ونقصان الإدراك للأساليب البلاغية والتركيبات .

١٢ الشرود وعدم التركيز ، وهذه المشكلة يشكو منها الكثير من القراء، فيقولون : نختم الصفحة دون أن نفهم شيئاً ، ونُنهي الكتاب دون استيعاب ، وننظر في الكلام والعقل شارد . وسيأتي تفصيل مستقل في علاج هذه المشكلة .

١٣ دنو الهمة والرضى بالدون ؛ وكأنه خُلقَ للأكل والشرب والنوم ، فهو لا يعرف الكتب إلا شكلاً ولا القراءة إلا ذكراً . فله ولشاكلته

قول القائل :

قد هيَّؤوك لأمـرٍ لو فطنت لـه ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وهذه النوعية من البشر لا يطيقون مجاهدة أنفسهم على القراءة ولا يطيقون المجالدة وحبس النفس أمام الكتاب بل يركنون إلى الكسل والنوم ، والأمر كما قال الإمام يحيى بن أبي كثير : لا يُستَطاع العلم براحة الجسم .

١٤ الانشغال بالملهيات كالأفلام والمسلسلات وما تبثه الأطباق الهوائية على مدار اليوم ومتابعة المباريات الرياضية ولعب الورق والجلسات الفارغة ، فكثيرون ينفقون الساعات الطوال في هذه الملاهي ويبخلون على أنفسهم بساعة للقراءة ، ثم يقولون : ما عندنا وقت!!

١٥ انشغال بعض الخاصة بأعمال كثيرة على حساب القراءة ، وهذا دليل على عدم إعطاء كل شأن حقّه وفقدان التوازن ، وكذلك انشغال بعض العامة بهموم العيش والسعي لأعمال إضافية لتحصيل المزيد من الأموال .

١٦ العكوف على استماع الأشرطة ، ولا شك أن انتشار الشريط قد أضعف الإقبال على الكتاب ، وليس المقصود بطبيعة الحال هنا هو المناداة بإلغاء الشريط ، كلا ، لكن لا بد أن يكون هناك توازن بين سماع الأشرطة وقراءة الكتب ، بالإضافة لما للكتاب من المزايا العديدة على الشريط كسهولة البحث فيه مثلاً . ويمكن أن يُجعل الاستماع إلى الأشرطة في الأوقات التي تصعب فيها القراءة أو

تتعذّر كقبل النوم أو عند الاسترخاء والراحة ، أو خلال قيادة السيارة أو أثناء العمل في البيت أو عند ترتيب الأشياء ، وقد كان أبوالبركات جَدُّ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ إذا أراد أن يغتسل أمر قارئاً فيقرأ ويرفع صوته ليسمع ويستفيد . فهكذا يكون الحرص على الأوقات .

١٧ انتشار الفهارس . وهذا أمر مفيد في عصر ضعف فيه الحفظ ، وتدنى فيه المستوى العلمي ، وكثر فيه الانشغال بالدنيا ؛ ولكن هذه الفهارس التي صدرت ـ مع إيجابيّاتها الكثيرة ـ تسببت في إضعاف روح البحث عند الكثيرين ، وحُرِم العديد من طلبة العلم من فوائد كانوا سيطّلعون عليها لو لم توجد الفهارس ، وليست هذه دعوة إلى نبذ الفهارس ، ولكنها تذكير بأهمية قراءة الكتاب وعدم الاقتصار على البحث في أمور محدودة من خلال الفهارس .

١٨ ارتفاع أثمان الكتب وغلاء أسعارها .

١٩ سوء الطباعة ؛ كعدم وضوح الحرف أو صغره ، وكثرة الأخطاء المطبعية ، ورداءة الورق ، وتدني مستوى الإخراج .

٢٠ ندرة المكتبات العامة ، وصعوبة الوصول إليها ، وتعقيد إجراءات الاستفادة منها .

٢١ الشعور المتنامي لدى كثير من الطلاب والدارسين بأن الهدف من الدراسات هو الشهادات والحصول على الوظائف .

وبعد هذا الاستعراض لبعض أسباب النفور من القراءة والانصراف عنها آن الأوان للحديث عن :

العـــلاج

وعلاج كل نقص وعيب لا بد فيه من الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه واللجوء إليه بالدعاء وبعد ذلك ومعه الإقبال على الأخذ بالعلاجات الأخرى **ومنها** :

١ معرفة فضل العلم وشرف أهله وبيان أهمية القراءة وهي أهم الوسائل لتحصيله ، والتعريف بمكانة كتب العلم الشرعي وبركتها ، وذلك من خلال الوسائل والمنابر المختلفة كخطب الجمعة والدروس والمحاضرات والكتب والمقالات ، ومن فوائد القراءة التي تُذكر للترغيب فيها :

أ ـ تعلُّم العلم الشرعي الذي عليه مدار صحة الأعمال ، وانتفاء الجهل الذي هو سبب للذم والوقوع في المحرمات وسخط الله ، فالعلم حياة ونور ، والجهل موت وظلمة .

ب ـ الأنس بكلام الله وكلام أنبيائه وأقوال العلماء .

جـ ـ التعرّف على جوانب الحكمة وعلل الأحكام في هذه الشريعة مما يُكسب المرء ثباتاً على دينه .

د ـ حفظ الوقت وملؤه بما يفيد .

هـ ـ الحيلولة بين المرء وقرناء السوء الذين يضيّعون الأوقات .

٢ تشجيع الناس على القراءة ، وذلك عن طريق :

أ ـ إقامة معارض الكتاب ، وإذا كان الغربيون قد اكتشفوا أهمية مثل هذه

الأفكار فأوجدوا أسبوع الكتاب ونادي الكتّاب واتحاد القرّاء فنحن أولى منهم بكل فكرة مباحة تشجّع على القراءة ، فينبغي استخدام الوسائل المرئية والمسموعة والإفادة من الأساليب الإعلانية في حثّ الناس على القراءة .

ب ـ إقامة محاضرات عن القراءة وإضافة فقرات منهجية في المدارس والجامعات وحصص خاصة للقراءة ما أمكن .

جـ ـ تنشئة الأطفال منذ نعومة أظفارهم على حب القراءة ومحبة الكتاب بتشجيعهم مادياً بالجوائز ومعنوياً بالثناء وانتقاء الكتب المشوقة للطفل ذات الموضوعات الملائمة والأسلوب القصصي والعبارة السهلة والألوان الجذابة والأحرف الكبيرة والقراءة جملة جملة ، وأن يوفّروا من مصروفاتهم لشراء الكتب ، هذا مع إرشاد الطفل للاعتناء بكتابه والمحافظة عليه (١) . وينبغي الحذر من القصص الخرافية التي تخيف الطفل وتفسد خياله وينبغي الاعتناء بالقصص التي تحكي سير عظماء هذه الأمة وأبطالها من الصحابة والعلماء والقادة لتكوين المُثُل التي تُحتذى في نفس الطفل .

د ـ إنشاء مكتبة في البيت بشكل منظم وأنيق .

هـ ـ إجراء مسابقات هدفها تشجيع الناس على القراءة كالبحوث وغيرها .

و ـ إهداء الكتيبات في المناسبات المختلفة (الزواج ، العقيقة ، العيد . . . ونحوها) .

---

(١) ومما يُؤسَف له أن عدداً من الآباء والأمهات لا يبالون إذا ما رأوا كتب أطفالهم ملقاة على الأرض أو منزوعة الغلاف وممزقة الأوراق ويبخلون بكلمة توجيهية للولد في رفع كتابه أو صيانته إذا سقط غلافه أو لَصْق ما تمزق من أوراقه . ولا بأس من التهديد بالحرمان من الشراء إذا استمر على إهماله .

ز ـ الاهتمام بطباعة الكتب وتوفيرها بأسعار مناسبة والعمل على كسر حدّة الجشع والاحتكار ، والسعي عن طريق المحسنين لطبعات الإهداء والتوزيع الخيري أو البيع بسعر التكلفة أو قريب منه ، مع تهادي الكتب بين الناس . وكذلك تقديم التسهيلات لإيصال الكتاب بالبريد لطالبه في الأماكن البعيدة والقرى النائية والإفادة من فكرة المكتبات المتنقلة بالسيارات .

٣ التدرج في قراءة الكتب ؛ وهذه مسألة غاية في الأهمية حتى يكاد يكون عليها مدار النجاح والفشل في القراءة .

وقبل الكلام عن شيء من التفصيل في البداية الصحيحة في القراءة يحسن عرض القضية المهمة الآتية وهي :

مراحل القراءة للإنسان عبر سنين عمره

الأصل في الإنسان الجهل ؛ قال الله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا** ﴾ [**النحل** : ٧٨] واكتساب العلم لا يمكن أن يحصل بين عَشيَّة وضحاها ، ولا يمكن أن يُصبح الشخص قارئاً متمرِّساً يسير على منهج سَليم في يوم وليلة والقضية تحتاج إلى تدرج وصبر .

ويمكن تقسيم المراحل التي يمر بها الشخص عموماً في القراءة إلى المراحل الخمس التالية :

١ تحبيب القراءة إلى النفس والانجذاب إليها : وتحقيق هذا الأمر يحتاج إلى كثير من أسلوب التشويق والإثارة مثلما هو موجود في موادّ معينة كالسيرة والقصص .

٢ القراءة الجادة : بالكيفية السليمة ، وهذا يحتاج إلى كثير من الصبر والمصابرة . وكثيراً ما يشعر القارئ في بداية هذه المرحلة بقلة الثمرة وضعف الحصيلة وذلك أنه يقرأ في موضوعات جديدة تمرّ عليه لأول مرة ، وهذا يتطلب شيئاً من التأني للفهم والهضم ، ولكن على القارئ ألا يملّ ، فلا بد من المواصلة للثبات على الطريق .

٣ القراءة التحصيلية : التي يصل فيها القارئ إلى درجة عالية من الفهم للمقروء نتيجة لاستمراره ومكابدته ؛ ويتخطّى العقبات حتى أنه يمكنه فهم عامة ما يقرأ ويشعر بالترابط بين المعلومات القديمة والحديثة ويبدأ الإحساس بالثروة العلمية .

٤ القراءة الناقدة : وفيها تكتمل وتتضح معالم المنهج الرباني لدى القارئ المسلم ، وتتكون الموازين الشرعية والقدرة على التقويم والنقد والمحاكمة ، فيستطيع بناءً على هذا تمييز أخطاء الكتّاب واكتشاف المزالق والانحرافات ، وبالتالي يمكنه أن يقرأ كل ما يمرّ بين يديه .

٥ القراءة الاستقرائية : التي ينطلق فيها القارئ في الآفاق الواسعة لعالم القراءة بعدما ضبط أصول العلم ، ويمكنه التوسع وخوض غمار الكتب في جرد المطوّلات وغيرها .

وبعد هذا الاستعراض لبعض معالم طريق القراءة الطويل نعود إلى موضوع :

البداية الصحيحة في القراءة

ينبغي على القارئ المسلم أن يُحسن الدخول ويصحح الابتداء ، ومن ذلك ؛

البدء بـ :

- الكتب السهلة قبل الصعبة .
- وبالكتب الصغيرة قبل المراجع الكبيرة .
- وبالكتب الميسرة في الفن قبل الكتب المتقدمة فيه .

وإن من أسباب اضطراب البدايات عند البعض :

- العجلة التي هي من الشيطان .
- وفورة الحماسة غير المنضبطة .
- والمبالغة في الثقة بالنفس . والصحيح الثقة بالله تعالى .

ومن أسباب الخطأ في الابتداء أيضًا وجود نوع من الغرور ، فيقول صاحبه : أنا لا يهمني إن كان الكتاب كبيراً أو صغيراً ، صعباً أم بسيطاً فأنا أفهم كل شيء . ولكن سرعان ما تصطدم إمكاناته المتواضعة بجبال المعلومات والأساليب العلمية القوية والأسانيد والروايات واختلاف الفقهاء ؛ فيرتد إليه بصره خاسئاً وهو حسير ، فيكلّ ويملّ ، ويترك القراءة مودِّعاً الكتب بعقدة نفسية يصعب إزالتها .

فالبدء في التفسير ـ مثلاً ـ بكتاب كبير ومتقدِّم ـ فيه ذكر الروايات بالأسانيد والأقوال المتعددة ووجوه القراءات واختلاف اللغة والإعراب وتفريعات الأحكام المستنبطة من الآيات ـ قبل البدء بكتاب يحوي معاني المفردات الغريبة والمعنى الإجمالي للآية لا شك أنه أمر مخالف للحكمة ومما يصدّ عن القراءة ، فاختيار تفسير مناسب كتفسير العلامة ابن سعدي

ـ رحمه الله ـ أو زبدة التفسير المختصر من تفسير الشوكاني ـ رحمه الله ـ خطوة مناسبة قبل القراءة في تفسير ابن كثير ـ رحمه الله ـ مثلاً .

وكذلك البدء بكتب الخلاف في الفقه التي تحكي اختلاف العلماء وأدلة كل قول بالتفصيل قبل البدء بكتاب يعرض قولاً واحداً في المسألة مع دليله هو أمر يؤدي بالمبتدئ إلى النفور . فمن الخطأ أن يبتدئ الإنسان الذي يريد أن يقرأ في الفقه بكتاب المغني ـ مثلاً ـ قبل كتاب العمدة .

والابتداء في السيرة بقراءة كتاب ينتقي الروايات الصحيحة بأسلوب سهل مختصر مع ذكر بعض الدروس والعبر [١] هي خطوة أولية قبل القراءة في كتب مرويات المغازي كالبداية والنهاية لابن كثير ـ مثلاً ـ .

والابتداء بقراءة متن مختصر سهل في مجمل أمور الاعتقاد كمتن الواسطية أو الطحاوية أو لمعة الاعتقاد هو خطوة لا بد منها قبل الشروع في العقيدة الحموية والتدمرية وشرح الطحاوية والسفارينية ـ مثلاً ـ .

وكذلك قراءة بعض رسائل مجدد الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ كالأصول الثلاثة ، ومتن كتاب التوحيد مع مسائله أمرٌ لا بد أن يسبق القراءة في كتاب الإيمان لابن تيمية ومعارج القبول والشروح المبسوطة لكتاب التوحيد كتيسير العزيز الحميد ـ مثلاً ـ .

وقراءة شرح مختصر للأربعين النووية لا بد أن يسبق قراءة شروح متون حديثية أخرى كشروح بلوغ المرام أو صحيح البخاري أو مشكاة المصابيح ـ مثلاً ـ .

---

(١) ككتاب السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري أو كتاب صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي .

وكذلك ينبغي الانتباه لمسألة منهجية في طلب العلم وهي الابتداء بتعلُّم الفرائض والواجبات قبل السنن والمستحبات ، وفروض العين والكفايات قبل النوافل والمندوبات .

ومما يجدر التنبيه عليه هنا أهمية القراءة في كتب المتقدمين ومعرفة قيمتها . ومما قيل في ذلك : (مؤلفات الأولين قليلة كثيرة البركة ومؤلفات المتأخرين كثيرة قليلة البركة) . وليست هذه قاعدة مطَّردة في كل العصور والمؤلفين لكنها في الجملة ليست بعيدة عن الصواب ؛ فالأولون أصحاب القرون المفضلة أرسخ علماً وأسدّ فهماً وذلك لقربهم من عهد النبوة بخلاف المتأخرين ولذلك تجد كلامهم قليلاً كثير الفائدة وعباراتهم مختصرةً تحوي الكنوز والنفائس .

وقد يقول قائل : أسلوبها صعب . ولكن هذا الادعاء يحتاج إلى تمحيص ؛ فأما كتب السلف ومن سار على هديهم فهي تتشبّه بالقرآن والسنة، ولا أوضح منهما وإن كان من صعوبة فمنشؤها من ضعف لغتنا وقصور أفهامنا ، فلابد من التقوي للوصول إلى مستوى الفهم المطلوب . أما الكتب التي صيغت بعبارات التكلف وأساليب التقعر فقد كُتب أكثرها في أزمنة الضعف أو الترف فحقها التأخير أو الترك . ولذلك كلما كان الكتاب ألصق بالقرآن والسنة وكثرت فيه الاستشهادات بنصوص الوحي كان أيسر ، وكلما كان المؤلّف الذي يكتب قريباً من القرآن والسنة كان كتابه أسهل وأبسط وأقرب للفهم ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** (١٧) ﴾ [القمر : ١٧] .

ولا ننسى أن القراءة في كتب المتقدمين ذات ميزة غاية في الأهمية وهي أن هذه الكتب قد كتبت في عصر قوة أهل الإسلام ومنعتهم وهيمنتهم وسيادتهم ؛ فيكتب الكاتب منهم بروح العزة الإسلامية ومشاعر الانتصار،

فيكون أسلوبه متأثراً مؤثراً وهذا يختلف كثيراً عن الأسلوب الذي يكتب به كثير من الكتّاب في عصور الذل والهزيمة . فقراءة كتب الماضين تؤسس في النفوس الثقة بهذا الدين لأنهم يكتبون من منطلق القوة والاستعلاء ، ولذلك ينبغي الحذر عند القراءة في كتب كثير من المتأخرين المتأثرين بالانهزامية فإنك تحس وأنت تقرأ لهم بالضعف والمهانة ، ويتبين لك أن الكاتب يتراجع عن عدد من القواعد الإسلامية والأحكام الشرعية تحت ضغط الحضارة الغربية مثلاً والهزيمة أمام الأعداء ، وقد يعتذر عن بعض الأحكام الشرعية اعتذارات شنيعة تخلّ بالدين والاستسلام لشريعة رب العالمين ، وربما يحاول تبرير مسائل الرقّ والجهاد ونحوها بما يتناسب بزعمه مع طبيعة هذا العصر أو يقول كلاماً يكاد يلغي فيه مثل هذه الأحكام ، ولذلك ينبغي توخي الحذر والحرص البالغ عند القراءة لبعض هؤلاء الكتّاب المُحْدَثين .

ويحسن بمن يريد القراءة في كتب الماضين أن ينتقي أصحاب العبارة السهلة وحسن الترتيب والتبويب كالعلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كثير من كتبه وذلك ليحصل الانجذاب والارتياح لكتب المتقدمين ، هذا قبل الانتقال لقراءة الكتب التي فيها شيء من الصعوبة أو تداخل العبارات وكثرة الاستطرادات . وبعض الناس يقولون : نقرأ في كتب العلماء كبعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ لكننا لا نفهم ولا نستوعب كثيراً من الكلام . وهذا يقع فعلاً ويحصل لأسباب مثل أن يكون المصنِّف سيَّال الذهن تتدفّق أفكاره وعلومه كشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فيُخْرِج ما في جعبته في بعض المسائل بشكل مذهل فيستطرد وينتقل ويَعْقد المباحث والفصول ثم يعود إلى الموضوع الأصلي بعد صفحات طويلة مما يُفقد القارئ

غير المتمرس التركيزَ والقدرة على ربط المعلومات ، فيحدث شيء من التشويش وفقدان الفهم والاستيعاب . وهذا أمر يزول تدريجياً بحسن الانتقاء والتدرج والمراس والتعود على أسلوب المؤلف .

٤ تذليل صعوبة الكلمات الغريبة باستخدام القواميس والمعاجم المختصرة مثل « مختار الصحاح » (وله طبعات صغيرة الحجم ، سهلة الحمل ، يذكر كل كلمة بمعناها) ، وأوسع منه « المعجم الوسيط » ، ولمن أراد كتاباً مختصاً بالكلمات الغريبة في الأحاديث النبوية أن يستعمل كتاب « النهاية في غريب الحديث والأثر » لمعرفة المعنى(١) ، وستأخذ العملية وقتاً في البداية ويجد القارئ بعض الصعوبة ولكن بعد حين سيعتاد الأمر ثم إذا عرف معنى الكلمة الصعبة ، فلن يحتاج ـ في الغالب ـ أن ينظر في معناها مرة أخرى وبالتالي ستقوى مَلَكَته اللغوية تدريجياً مع كثرة القراءة .

٥ تعلُّم قواعد اللغة العربية ؛ وهو أمر مهم لفهم المقروء ؛ فمعرفة الفاعل من المفعول ، وهل الفعل لازم أم متعدٍّ ، وهل الواو للعطف أو للحال ، وتمييز المضاف من المضاف إليه ، وتعيين فعل الشرط وجواب الشرط ، ومعرفة أن تقديم ما منْ شأنه التأخير يفيد أموراً في اللغة منها حصر المعنى في شيء معيّن إلى غير ذلك من مباحث النحو ـ أمورٌ لا بدّ منها لإدراك المعنى . وبالجملة

---

(١) وليحرص طالب العلم على الاهتمام بكتب اللغة التي تبين المعاني الكلية للكلمة واشتقاقاتها : كمعجم مقاييس اللغة لابن فارس ، ومفردات الراغب الأصبهاني .

فإن معرفة موقع الكلمة من الإعراب وفهم العلامات الإعرابية لا بد منه للفهم ، وعدمه قد يؤدي إلى أخطاء فادحة من التحريف وتغيير المعنى (١) .

ومن المهم كذلك ضبط الكلمات لأنها تُعين في تمييز الفعل المتعدّي من اللازم والمبني للمعلوم من المبني للمجهول وغير ذلك من أنواع الكلام والتصريف والصيغ (٢) .

ومن هنا تُعلم خطورة الدعوة إلى « العامية » والمناداة باستعمالها ، ولا شك أن ذلك يؤثر سلباً على فهم اللسان العربي المبين الذي جاء به القرآن والسنة .

ومما يعين على تحقيق هذه المسألة القراءة في الكتب المحققة تحقيقاً علمياً جيداً والكتب المشكولة التي ضُبطت فيها حركات الحروف وعلامات الإعراب في الكلمات (٣) . وقليل من المؤلفين من يهتم

---

(١) مرّ ببعضهم مرة وهو يقرأ على ملإ عبارة في كتاب فقهي نصُّها : ولا يجوز للمُحْدث مسّ المصحف . فقرأها : ولا يجوز للمحدِّث مسّ المصحف !! فقال له أحد الحاضرين مُتهكماً : والمفسِّر ؟ فقال : من باب أولى ! وهكذا يجتمع الخلل في القراءة مع القول بلا علم .

(٢) وقد سمع أعرابي رجلاً يقرأ قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾ [البقرة : ٢٢١] فقرأها : (ولا تَنْكِحوا) بفتح التاء بدلاً من ضمها ، فقال الأعرابي : ولن ننكحهم حتى ولو آمنوا !!

(٣) ويشترط في هذا أن يكون المحقق من المتقنين المشهود لهم وإلا فإن من المحققين (!) من إذا شكل الكتاب أشكله وإذا أعجمه طمسه .

بذلك ، وقليل من الناشرين من يطبعه على وجه الدقة .

٦ القراءة على الشيوخ أو طلبة العلم المتمكنين ، وخاصة في أصول العلوم وفي ذلك من الفوائد :

- الارتباط بمواعيد ثابتة للقراءة تشجِّع على المواصلة وتمنع من الفتور .
- وكذلك الحماية من التصحيف والخطأ في القراءة .
- وأيضاً الحماية من الخطأ في الفهم .
- ووجود من يُسأل حين الإشكال .

مَن يأخذ العلم عن شيخ مشافهةً ... يكن عن الزيغ والتصحيف في حرم

وهذا معنى مقولة القائل [1] : كان العلم في صدور الرجال ثم انتقل إلى الكتب ومفاتحه بأيدي الرجال .

وما الآراء الشاذة والأقوال الغريبة التي تنتشر بين الناس في كثير من الأحيان إلا نتيجة حرمان بَركة القراءة على أهل العلم . أما لو كنت في مكان لا تجد فيه شيوخاً ولا طلبة علم فلا أقلّ من أن تحاول أحياناً القراءة مع إخوانك فإن الجماعة أبعد عن الخطأ من الفرد .

٧ الامتناع التام عن وصف المرء لنفسه بأنه لا يحب القراءة وأنه يكره الكتاب وأنه سرعان ما ينام لو فتح الكتاب ؛ فإن مثل هذه العبارات تؤسس في النفس يقيناً أن المرء كذلك ، وهذا مما يزيد العلاج صعوبة وتعقيداً بل ينبغي أن يُشعر الشخص نفسه بأن هذه الصعوبة يُمكن التغلب عليها وأنها ليست دائمة ولا ملازمة ، وأنه بشيء من الممارسة والمجاهدة تزول هذه المصاعب ، وأن حبه للقراءة أمر ممكن جداً ، وأنه عما قريب سيتعلَّق بالكتاب وتنفتح أمامه السبل للقراءة

---

(١) وهو الإمام الشافعي رحمه الله تعالى .

والانكباب عليها وأن عنده القابلية والقدرة لذلك . وهذا الأسلوب وإن سماه البعض إيحاءً لكنه مُجرَّب ونافع ومن الأمور المساعدة على العلاج .

٨ استعارة الكتب أو الاشتراك في الكتاب الواحد ، وكذلك غشيان المكتبات العامة والخيرية إذا لم يستطع شراء الكتب للتغلب على مشكلة ارتفاع الأسعار .

٩ الحرص على قراءة الكتب الشرعية لأن فيها ما يحتاجه الإنسان قلباً وعقلاً وجسداً ، بالإضافة إلى أن العلم الشرعي ذو جانب تطبيقي يحتاج المسلم إلى معرفته مثل صفات العبادات ، وكذلك المعاملات والآداب فإن القارئ المسلم عندما يطبق ما يقرأ يجد فائدة ويشعر بالعائد والأثر فيدفعه ذلك لمزيد من القراءة والمطالعة ، وهذا بخلاف الكتب التي تحوي الفلسفة وزبالات الأذهان وليس فيها علم ولا تطبيق مبارك فهي تورث الكلالة والسآمة وتنفّر من القراءة .

١٠ إتْبَاع القراءة بالعمل : إن الإحساس بالمردود السريع مما يُشعر القارئ بفائدة قراءته ، ولذلك كانت القراءة في الموضوعات العملية كالفقه وإتباع ذلك بالعمل والتطبيق من الوسائل المهمة للانجذاب إلى القراءة ، فمثلاً لو قرأت عن الحج ثم ذهبت إلى الحج كم سيكون إحساسك بفائدة القراءة ، وكذلك لو قرأت كتاباً في صفة الوضوء أو صفة الصلاة وأنت تطبق ذلك يومياً ستشعر بحب للقراءة لأن الثمرة حقيقية ومشاهَدة وسريعة ، وكذا لو تعرّضت لمسألة أو حادثة مفاجئة سبق لك القراءة في حكمها لشعرت بلذة خاصة .

١١ تقييد الفوائد المهمة واللآلئ الجميلة : وهذا مما يُشعر القارئ بالفائدة وذلك إذا أخذ يجمع ما يشد انتباهه ويقع في نفسه موقعاً جميلاً من قاعدة جامعة وقصة مؤثرة وحُكْم كان يبحث عنه ولمحة تربوية فيجتمع لديه بعد حين حصيلة ثمينة وكنز نفيس من هذه الفوائد فإذا جمعها وفهرسها تكون في كراس كلما نظر فيه استأنس وتذكّر واستطعم تلك الفواكه العذاب ، وهناك عدد من مصنفات العلماء هي عبارة عن فوائد حصلت لهم أثناَء الطلب والبحث والقراءة جمعوها وكتبوها أو خواطر قيّدوها ودوّنوها(١) ، والناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويمكن تقييد الفوائد بكتابة العنوان ورأس الفائدة مع رقم الصفحة ثم يُعمل لها فهرس عامٌّ بعد ذلك . قال يحيى بن معين ـ رحمه الله ـ : حُكْمُ من يطلب الحديث (أن) لا يفارق محدِّثه وقلمه ، وألا يحقر شيئاً سمعه فيكتبه ، فقيدوا العلم بالكتابة .

وقال الشاعر ناصحاً القراء بتقييد الفوائد :

العلم صيدٌ والكتابة قيــدُه ... قَيِّد صيودك بالحبال الموثقة
فمن الحماقة أن تصيد غزالة ... وتتركها بين الحدائق طالقة

وينبغي لطالب العلم أن يكون بعيد النظر ، فإن الحفظ خوّان ، قال أبوهريرة ـ رضي الله عنه ـ : ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص ، فإنه كان يكتب ولا أكتب(٢) . وتلك الصحيفة هي التي كان عبد الله بن عمرو رضي الله عنه

---

(١) ومن ذلك كتاب بدائع الفوائد لابن القيم ـ رحمه الله ـ وصيد الخاطر لابن الجوزي ـ رحمه الله ، وقد دوّن بعض العلماء فوائد ونوادر حصّلوها في رحلاتهم في الحج وغيره .

(٢) رواه البخاري ، كتاب العلم ، رقم ١١٣ ، ترقيم عبد الباقي .

يسميها : « الصادقة » .

ومن المفيد أيضاً لطالب العلم أن يحفظ شيئاً من العبارات والقواعد والخلاصات الهامة ويُحدّث بها غيره مبتغياً وجه الله تعالى بنفع الآخرين وتثبيت محفوظاته .

١٢ التنويع في القراءة والمطالعة : وذلك بتغيير الكتاب الذي يقرأ فيه أو تغيير الموضوع ، وقد ذُكِرَ عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان إذا حصل مللٌ في مجلسه قال : هاتُوا ديوان الشعراء ، وكان محمد بن الحسن ـ رحمه الله ـ قليل النوم في الليل ، وكان يضع عنده الدفاتر فإذا ملَّ من نوع ينظر في نوع آخر ، ويضع عنده الماء يزيل نومه بالماء [(١)] .

ثم إن القراءة في الكتب ذات التفاصيل والمسائل الكثيرة ككتب الخلافيات ربما يورث قسوة في القلب فيكون من المناسب مزج ذلك بشيء من الرقائق .

١٣ إعادة القراءة : لتثبيت المعلومات وقد سئل البخاري ـ رحمه الله ـ عن سبب حفظه فقال : (لا أعلم شيئاً أنفع للحفظ من نهمة الرجل ومداومة النظر) [(٢)] .

ومن فوائد إعادة القراءة استفادة معان جديدة لم يكن قد عرفها من قبل ، وخصوصاً عند تدبر القرآن الكريم ، فإنه لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء ، فكلما قرأ القارئ بتدبّر وعلم أبصر معاني جديدة .

---

(١) تعليم المتعلم طريق التعلم للزرنوجي ، ت : مروان قباني ، ص ١١٧ ـ ١١٨ .

(٢) هدي الساري ، ص : ٤٨٨ .

وإعادة القراءة في كتب العلم تثبِّت ما سبق حفظه وتُكسب حفظاً جديداً وتفتح مجالات جديدة للفهم . قال بعضهم : إذا قرأتُ كتاباً جديداً للمرة الأولى شعرت أنني كسبت صديقاً جديداً ، وإذا قرأته ثانية أحسست بأني أقابل صديقاً قديماً .

١٤ اللجوء إلى الله إذا استغلق الفهم : فإن من الأشياء التي تُنفِّر القارئ من الكتاب أنه يمر بما لا يفهمه فما هو الموقف حينئذ ؟ جاء في سير أهل العلم أنهم كانوا إذا استغلقت عليهم المسألة أو مَرَّ بهم الأمر الصعب الذي يشكل عليهم لجؤوا إلى الله وتضرعوا إليه وسألوه أن يكشف لهم الأمر ويفتح لهم ما استغلق ، وكان شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ إذا وقع له شيء من ذلك يقول مناشداً ربه : يا معلم إبراهيم علمني ويا مفهم سليمان فهمني ، وذلك لأن الله تعالى قال : ﴿ **فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ** ﴾ [الأنبياء: ٧٩] ، وهذه المناشدة من أسباب فتح ما استغلق من المسألة أو الكلمة أو العبارة الصعبة في الكتاب .

١٥ الرجوع إلى أهل العلم للسؤال عما أشكل لقوله تعالى : ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [**النحل**: ٤٣] ، ولقوله ﷺ : (**ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العِيِّ السؤال**) [(١)] .

١٦ وربما يكون من الحكمة في بعض الأحيان أن يجاوز القارئ ما لم يفهمه ويتعداه إلى ما بعده حتى لا يضيع الوقت ويحصل الملل من طول التفكير فيما لم يتبين له معناه ، ولعله يعود إليه بعد ذلك أو يقرأه في موضع

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، باب المجروح يتيمَّم ، وحسنه الألباني في ضعيف أبي داود رقم ٧٤ .

آخر بأسلوب آخر أو تتهيأ الفرصة للسؤال فيتبين له المعنى ، على أنه لا يصح تبرئة الكاتب دائمًا واتهام فهم القارئ ؛ فربما يكون الكاتب لم يحسن عرض الفكرة ولم يُوفَّق إلى درجة الوضوح المطلوبة لقلة بلاغته ونقص مقدرته على التعبير .

١٧ الاعتناء بقراءة مقدمات الكتب العلمية ففي كثير منها تبيين لمصطلحات الكاتب في كتابه ، فلا يمكن للناظر في كتاب تقريب التهذيب ـ مثلاً ـ لابن حجر ـ رحمه الله ـ أن يعرف مثلاً مدلول كلمة : الثانية والثالثة والرابعة . . . إلخ ، في ذكر طبقات الرواة وكلمة : مقبول ومستور وغيرها في ذكر مراتب الرواة دون علم مسبق باصطلاحات الكتاب وهو إذا قرأ مقدمة ابن حجر ـ رحمه الله ـ للكتاب عرف المقصود وزالت عنه الحيرة والغموض .

وكذلك كتب المذاهب الفقهية لبعض مؤلفيها مصطلحات خاصة لا يمكن فهمها إلا بتعريف :

فأحياناً يكون المصطلح حرفاً مثل : « ق » ـ « خ » ـ « م » ـ « د » ـ « ت » ـ « ن » ـ « هـ » ـ « خت » ـ « خد » ـ « هب » . . . إلخ ، وأحياناً يكون رقماً أو عدداً مثل : « ٤ » ، « رواه الخمسة » ، « رواه الستة » مثلاً ، وأحياناً يكون جزءًا من كلمة مثل : « ثنا » و « أنا » ، وأحياناً يكون كلمة مثل : إيراد كلمة « غريب » بعد حديث ، أو ما يوجد في بعض كتب الفقه من كلمة « اتفقوا » ، « اتفقا » ، « بالاتفاق » ، « خلافاً » . ولكل مذهب فقهي اصطلاحاته الخاصة به وأحياناً يكون المصطلح مكوناً من أكثر من كلمة كقول الترمذي ـ رحمه الله ـ : « حسن صحيح » أو « حسن صحيح غريب » وقول بعض الفقهاء في كتبهم : « قاله الشيخ » ، « قاله الشارح » ، « قاله القاضي » ،

«خلافاً له» ، «خلافاً لهما» .

وقد يكون سكوت بعض العلماء عن شيء معين في كتبهم له مدلول ومعنى معين كسكوت أبي داود في سننه وسكوت ابن حجر ـ رحمه الله ـ عن بعض الأحاديث في كتاب تلخيص الحبير مثلاً ، وسكوت ابن أبي حاتم عن بعض الرواة في كتاب الجرح والتعديل .

وبعض العلماء قد يبين اصطلاحاته في مقدمة كتابه ، وبعضهم أثناء الكتاب ، وبعضهم في خاتمته ، وبعضهم لا يُعرف إلا بالتتبع والاستقراء . وهناك بعض المؤلفات تُبيِّنُ اصطلاحات بعض الكتّاب في كتبهم (١) .

١٨ الانتباه للتصحيف والتحريف والأخطاء المطبعية ، وكل هذا مما يشوش الفهم ويغيّر المعنى ، وهو نتيجة لتحريف الناسخ أو خطأ الطابع أو غفلة القارئ . وكم أوهمت من معنى خاطئ واستغراب وعماية ، وفيما يلي نماذج من التصحيفات والتحريفات (٢) التي ألّف بعض العلماء مصنفات خاصة من أجل كشفها (٣) .

---

(١) انظر في تفسير بعض ما تقدّم : مقدمة تقريب التهذيب لابن حجر ـ رحمه الله ـ ، مقدمة صحيح الجامع الصغير وزيادته ، الباعث الحثيث ، مقدمة تحفة الأحوذي للمباركفوري ، مقدمة كتاب الفروع لابن مفلح ، مقدمة كتاب الإنصاف ، المدخل لابن بدران : العقد السادس ، وفي آخر صفة الفتوى والمفتي والمستفتي لابن حمدان .

(٢) ومما ذكره بعضهم في الفرق بين التصحيف والتحريف أن التصحيف هو : تبديل الكلمة بكلمة أخرى تشابهها في الخط وتخالفها في النّقط كتبديل الغَدْر بالعذْر والعَيْب بالعَتْب . والتحريف هو : تبديل كلمة بكلمة أخرى تشابهها في الخط والنقط وتخالفها في الحركات ، كتبديل الخَلْق بالخُلُق والقَدَم بالقِدَم .

(٣) انظر على سبيل المثال : تصحيفات المحدثينَ للعسكري .

جاء رجل إلى الليث بن سعد فقال : كيف حدثك نافع عن النبي ﷺ في الذي نُشرت في أبيه القصَّة ؟ فقال الليث : ويحك ، إنما هو : في الذي يَشْرَب في آَنية الفضَّة يُجرجر في بطنه نار جهنم (١) . فتحرَّفت يشرب إلى نشرت وآنية إلى أَبيه والفضّة إلى القصّة !

وعن أبي العيناء قال : حضرت مجلس بعض المحدثين المغفلين ، فأسند حديثاً (قدسياً) فقال عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله عن رَجل . فقلت : مَن هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله عزّ وجلّ ؟ (فنظروا) فإذا هو قد صحّفه وإذا هو عزّ وجلّ (٢) . فتحرَّفت عز إلى عن، وجلّ إلى رجل فقَلَب الزاي نوناً والواو راء .

وكان من أسباب وقوع الخطأ في الماضي عدم نقط الحروف وضبط الكلمات بالشكل فلما أعجموا الحروف بالنقاط وضبطوا الكلمات بالحركات قلّ ذلك ، ومن أمثلة ما حصل في بعض الأسانيد والمتون من التصحيف : شعبة إلى سبعة ، والخبر إلى الخبز ، وخرزة إلى جزرة وجرير إلى خربز وعنَزَة إلى عنْزَة . وقد توهّم بعضهم أن النبي ﷺ جعل عنزاً سترة له في الصلاة وقال محمد بن المثنى العنَزي نحن قوم لنا شرف ، نحن من عنَزَة ، قد صلى النبي ﷺ إلينا !!(٣) ، وإنما المقصود بالعنَزَة حَرْبة أو رمح قصير كان النبي ﷺ يتخذها سترة في صلاته في السّفر .

ومن الناس من كان يصحّف في قراءته للقرآن ؛ فقرأ بعضهم : فإن لم يُصبها وابلٌ فظلّ بدلاً من فطَلّ وهو المطر الخفيف ، وقرأ بعضهم جبّار بدلاً

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي : ١ / ٢٩٤ .

(٢) المرجع السابق : ١ / ٢٩٤ .

(٣) المرجع السابق : ١ / ٢٩٥ .

من ختّار ، وتغرسون بدلاً من تعرشون ، ونبلو أخياركم بدلاً من أخباركم ، وصيغة الله بدلاً من صبغة الله . وتأمّل كم يُصبح المعنى قبيحاً مقلوباً إذا قرأ القارئ في الفاتحة إياك بدلاً من إيّاكَ ، وأنعمتُ بدلاً من أنعمتَ ، وإذا قرأ في سورة البقرة واتَّبعواَ ما تتلو الشياطين بدلاً من واتَّبعوا ما تتلو الشياطين . وأمثلة التصحيف والتحريف كثيرة [1] . والمقصود الدقة والانتباه وخصوصاً في الكتب التي لا ضبط فيها ولا تحقيق ولا مراجعة .

١٩ تدارك ما يسبق إلى الذهن من المعاني الغريبة والشاذّة نتيجة للجهل وعدم معرفة المراد من العبارة ، وهذه مسألة تحتاج إلى حذر وانتباه ، وينبغي المسارعة إلى البحث والسؤال عند حصول ذلك . ولنضرب بعض الأمثلة لإيضاح المقصود :

ماذا يمكن أن يفهم بعض الناس إذا قرأ حديث النبي ﷺ : « **من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فلا يسقِ بمائه زرعَ غيره** » ؟ إن من السذاجة بمكان أن يُفهم من الحديث مثلاً أنه يجب على المزارع والفلاح أن يمنع مرور الماء من أرضه إلى أرض جاره ! ! لأن هذا معنى باطل لا تأتي بمثله الشريعة التي من قواعدها فعل المعروف وحسن الجوار ولا ضرر ولا ضرار ، وعند العودة إلى شروح العلماء للحديث يتبين أن المراد : أن لا يطأ الرجلُ امرأةً فيها حملٌ من غيره وأن على من اشترى جارية ـ مثلاً ـ أن يستبرئ رحمها بحيضة قبل أن يطأها ، وهذا إجراء ضروري لحفظ الأنسان من الاختلاط .

ومثال آخر : ماذا يمكن أن يفهم البعض إذا قرأ حديث النبي ﷺ : «**لايقبل الله صلاة حائض إلا بخمار**»؟ مهما قلنا من الاحتمالات فإنه لا شكّ أن الله لا يقبل صلاة المرأة حال الحيض لا بخمار ولا بغير خمار . ويمكن أن

(١) انظر تصحيفات المحدثين للعسكري : ١ / ١٤٤ .

يزول الإشكال إذا رجع القارئ إلى شرح الحديث ليعرف أن المراد بكلمة حائض هنا : المرأة التي بلغت سنّ المحيض وصارت مكلّفة .

وكذلك قد يقع بعض المبتدئين في لبس وحيرة إذا قرأ في بعض كتب الفقه مثلاً العبارة التالية : (العقل على العصبة) . ومن أسباب ذلك عدم معرفة معنى كلمة العقل هنا وأن المراد بها تحمّل الدية عند القتل وليس هو العقل المُدرك الذي يعقل الإنسان به ويفهم ، وكذلك كلمة الإسلام فإنها ـ بالإضافة إلى دين الإسلام ـ مصدر يعبّر به عن نوع مَن البيوع وهو بيع السّلم له شروطه ، فلا يحتار القارئ ولا يتشوش إذا قرأ في كتب الفقه بعض العبارات مثل : (ويجوز الإسلام في كذا ، ولا يجوز الإسلام في كذا ، أو يصح الإسلام في كذا ، وإذا أسلم في خمسة دنانير . . .) ، إلى غير ذلك من الأمثلة .

٢٠ التغلب على الشرود وعدم التركيز :

وهذه مشكلة تسبب نفور الناس من القراءة وشعورهم بأنهم لا يستفيدون شيئاً وربما تلاحظ أحياناً على نفسك وأنت تقرأ أنك قد ختمت الصفحة دون أن تعقل شيئاً وذلك لأن العين تعمل بشكل آلي والقلب ساهٍ لاهي . ولأهمية هذه المشكلة لا بد من الحديث عنها بشيء من التفصيل .

أنواع الشرود

هناك نوعان من الشرود : شرود النظر ، وشرود الفكر . فشرود القلب أو الفكر يحصل عندما تتابع العينان القراءة ، ولكن القلب منشغل بالتفكير في شيء آخر ؛ فالجسد في وادٍ والقلب والفكر في واد آخر . أما

شرود العين فيحصل عندما ينشغل النظر بمتابعة شيء أو شخص أو صورة ، وغالباً ما يتبع القلب البصر ، وانشغال النظر يمنع من التركيز ، وانشغال القلب يمنع من الفهم والعقل . ولا بد للقارىء من التخلص من هذين النوعين من الشرود لكي يستفيد من القراءة ، فالعين ترى رسم الكلمات والحروف ، والقلب هو الذي يدرك المعنى .

والشرود مشكلة عامة تحدث لجميع الناس ، لكنهم يختلفون في القدرة على التغلب عليه فمنهم من يطول شروده ومنهم من يقصر ، ومنهم من ترد عليه خاطرة أو خاطرتان ومنهم من تغزوه الخواطر وتقتحم عليه فكره، وليس هناك وسيلة مجدية وفعالة في مواجهة وكفّ الخواطر الطارئة أفضل من المجاهدة .

ومن العلاجات كذلك لمسألة الشرود :

أ ـ التجاوب مع القراءة :

وهذا من أكبر الأسباب التي تؤدي للتركيز ، وكان النبي ﷺ يقرأ القرآن بالليل ، فكان إذا مرّ بآية تسبيح سبّح وإذا مرّ بآية عذاب استعاذ وإذا مر بآية نعيم سأل الله ، وقرأ مرة قول الله تعالى : ﴿ **أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ** ⁽٤٠⁾ ﴾ [**القيامة** : ٤٠] فقال : « **سبحانك فبلى** »[(١)] . وكان إذا مرّ بآية فيها سجدة سجد ، وهذا كله من التفاعل مع المقروء ، وينبغي معرفة أن التجاوب لا يتم إلا بالتفكر فيما يُقْرَأ .

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء في الصلاة . قال ابن كثير : تفرَّد به أبو داود ولم يسمّ الصحابي ولا يضر ذلك . تفسير ابن كثير : ٨ / ٣٠٩ ، ط . دار الشعب .

وقد تظهر بعض علامات التجاوب مع المقروء على قَسَمات وجه بعض الناس وهو يقرأ فتجده أحياناً يعبس أو ينبسط أو يبتسم وأحياناً يبدو مستغرباً أو مندهشاً وقد تكون جالساً في حجرة وفيها من يقرأ في سكون ، وفجأة تسمع له قهقهة لأنه قرأ شيئا مضحكاً ، وبسبب تركيزه انفعل فضحك .

والتركيز لا يأتي بسهولة من البداية ، ولا بد لتحصيله من مران مستمر وصبر ومقاومة للمؤثرات الخارجية ، وإذا استطاع القارئ بالمجاهدة أن يردَّ عقله مرة بعد أخرى إلى المقروء فإن الخواطر الطارئة لا تلبث أن تعود من حيث أتت ، وبتكرار ذلك يصبح تركيز الذهن من الأمور المعتادة والمستطاعة والقضية قضية صبر ومجاهدة .

ب ـ رفع الصوت :

القرّاء ثلاثة : قارئ سماعي لا يقرأ إلا بصوت ، وقارئ آلي يحرك شفتيه عند القراءة بدون صوت ، وقارئ بصري لا يتكلم ولا يحرك شفتيه لكنه ينظر ويفكر . وبعض أهل الخبرة يقولون إن الثالث أجودهم لأنه ذو تركيز شديد فلا يحتاج إلى ما ينبِّهُه . ولكن الحقيقة أن الناس يتفاوتون في هذا الباب ، ولكل طريقته التي يرتاح إليها كما أن طبيعة الأشياء المقروءة تتفاوت أيضاً .

ويمكن للشخص الذي يعاني من الشرود أثناء القراءة أن يجرب رفع الصوت بالقراءة ، ولهذا بعض المزايا منها :

ـ أنه أرسخ : قال بعض أهل العلم : ينبغي للدارس أن يرفع صوته في درسه حتى يُسمع نفسه فإن ما سَمِعته الأذن رسخ في القلب ، ولهذا كان

الإنسان أوعى لما يسمعه منه لما يقرأه .

ـ أنه أفصح : فإذا كان المدروس مما يفسح طريق الفصاحة ، زاد ذلك في فصاحة القارئ ؛ مثل قراءة الشعر الجيد والمقطوعات، الأدبية والأساليب البلاغية وهذا مما يُكسب جودة النطق وجمال التعبير . وقال بعض أهل العلم : (وحكي لي عن بعض المشايخ أنه قال : رأيت في بعض قرى النَّبْط فتًى فصيح اللهجة حسن البيان فسألته عن سبب فصاحته مع لُكْنة أهلَ جلدته فقال : كنت أعْمدُ في كل يوم إلى خمسين ورقة من كتاب الجاحظ ، فأرفع بها صوتي في قراءتها فما مر لي إلا زمانٌ قصير حتى صرتُ إلى ما ترى)[1] .

ـ أنه أبعد عن النوم : وكان أبو حامد يقول لأصحابه : (إذا درستم فارفعوا أصواتكم فإنه أثبت للحفظ وأذهب للنوم)[2] .

جـ ـ استخدام القلم أثناء القراءة :

وهي وصية مهمة ونافعة ، وإن كثرة التعليقات الموجودة على الكتاب دالة علي تركيز صاحبه وتفاعله مع القراءة ، واستعمال القلم عند القراءة يشد الانتباه، والتعبير عن الموقف من المقروء يدلّ على الاستيعاب ، وإذا قرأت ورأيت أنك ملأت الصفحة بالكتابة المفيدة فاعلم أنك ناجح في الاستيعاب وربط الجمل والأفكار .

والكتابة تكون على الهوامش ؛ العلوية أو الجانبية أو السفلية ، ولكن

---

(١) الحث على طلب العلم ، للعسكري، ص : ٣٧ . ولم تخْفَ هذه المسألة على فسقة عصرنا ؛ فهذا أحد المطربين ينصح بعض الشباب الذين يدربهم على الغناء فيقول لهم : أنصحكم بدراسة التجويد لأنه يساعدكم على أداء الغناء بكفاءة عالية !! ، وذلك لأن تعلّم التجويد يعين على جودة النطق وسلامته وضبط مخارج الحروف .

(٢) الحث على طلب العلم ، للعسكري ،ص : ٣٧ .

ينبغي أن يكون هذا في كتب الشخص الخاصة به لا في كتب الآخرين ولا في كتب المكتبة العامة . وينبغي أن تكون التعليقات كأنها حوار بين القارئ والكاتب ، وأن تكون تعليقات مفيدة لا كما نراه مع الأسف في بعض الكتب ـ وخصوصاً كتب المكتبات العامة ـ من الرسومات والأشكال المختلفة من العبث الذي يدلّ على سخف واعتداء من فعله .

ومن المجالات المفيدة لاستخدام القلم أثناء القراءة :

ـ وضع خطوط تحدد النقاط الأساسية والأفكار المهمة [١] .

ـ وضع خطوط رأسية في الهامش للإشارة إلى أهمية الفكرة أو إلى أنه قد سبق تكرارها .

ومن أفكار بعض الطلاب في التعامل مع الكتب الدراسية الضخمة : استخدام الألوان المختلفة ؛ كاللون الأصفر للأشياء المهمة كالقوانين التي لابدّ من حفظها ، وآخر لما يليه في الأهمية ، وهكذا ، أو يستخدم الترقيم للمقاطع المختلفة (١) مهم جداً (٢) مهم (٣) عادي ، وهذا يساعد على معرفة الأولويات في المذاكرة إذا ضاق الوقت أو إذا أراد الابتداء أو التركيز على شيء معين ، وليست هذه الفكرة فكرة حديثة فقد استخدم العلماء الألوان في كتاباتهم قديماً . ومما يُنقل عن الحافظ ابن حجر ـ رحمه ـ الله في هذا أنه قال عن مراحل كتابته لكتابه العظيم الإصابة في تمييز الصحابة : (وقد قيّدت بالحُمرة أولاً ثم بالصفرة ثم بصورة ما يخالطها ، وكل ذلك قبل كتابة فصل المبهم من الرجال والنساء) [٢] .

---

(١) والمعروف في الطريقة المتبعة عند أهل العلم سابقاً وضع الخطّ فوق الكلمة بينما يضعه المعاصرون اليوم تحت الكلمة .

(٢) ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه الوارد في كتابه الإصابة ـ شاكر عبد المنعم ـ ص ٦٩٨ ـ ٦٩٩ .

ـ ترقيم النقاط المتفرقة ليسهل ضبطها وحفظها بوضع أرقام لأهم النقاط التي يوردها المؤلف وهذا يُشعر القارئ بمزيد من التركيز .

ـ الإشارة إلى أرقام الصفحات التي ذُكرت فيها أمور لها تعلق بالمسألة التي تقرأ فيها الآن كأن تكتب مثلاً : (انظر صفحة كذا) ، (تقدم الكلام عن هذا الموضوع في صفحة كذا) ومثل هذا يدل على الاستيعاب ويعين على الربط بين نقطتين .

ـ الإشارة إلى نقطة غامضة للسؤال عنها مستقبلاً ، أو كتابة أسئلة قد ترد في البال أثناء قراءة شيء معيّن للبحث فيها ، فإذا حصل اللقاء مستقبلاً ببعض أهل العلم فيكون عند طالب العلم أسئلة سبق إعدادها للسؤال عنها .

ـ تركيز واختصار الفكرة أو المقطع في الهامش : نلاحظ في طبعات بعض الكتب أن المحقق أو المؤلف يضع عناوين جانبية كثيرة [١] ، وكثير من كتب المتقدمين تتألف من فصول يسرد المؤلف في الفصل الواحد معلومات كثيرة في موضوعات عديدة ، وذلك لحفظهم وسيلان أذهانهم فيحتاج القارئ إلى فصل النقاط ليسهل الفهم ويتيسر الاستيعاب ووضع العناوين الجانبية يخدم هذا الجانب وكذلك يُبقي القارئ في حال متابعة واستجماع لما يقرأ ، وأيضاً فإن وضع العناوين يساعد القارئ على اكتشاف الفكرة الرئيسة للفقرة أو المقطع ، ويمكن في عدد من الكتب وضع هذه العناوين أثناء القراءة مثل : التعريف اللغوي ، التعريف الشرعي أو الاصطلاحي ، أقوال العلماء ، القول الراجح ، استشكال وردّه ، شبهة وجوابها ، الخلاصة . . . إلخ .

ـ محاولة استنباط ما يريد الكاتب أن يصل إليه أو التفكير في

---

(١) كما يوجد في كتاب : (اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية) ، طبعة الشيخ محمد حامد الفقي ، وكتاب (تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم) لابن جماعة الكناني .

الاحتمالات التي سيوردها ، وعلى سبيل المثال يمكن لطالب العلم وهو يقرأ عنوان المسألة الفقهية في كتاب من كتب الخلاف أن يحاول التوصّل إلى أقوال أهل العلم قبل أن يقرأها . إن هذه المحاولة ستربي فيه القدرة على الاستنباط وتقليب الذهن في الأوجه المحتملة وهذا ما يساعد على تكوين الملكة الفقهية . وكذلك فإن هذا التفكير سيُبقي القارئ حاضراً داخل النصّ فيكون أقرب إلى التركيز وأبعد عن الشرود .

ـ إثراء الكتاب بالتعليقات والإضافات المفيدة : مثل نقل درجة صحة بعض الأحاديث الموجودة في الكتاب من كتب التصحيح والتضعيف ، أو إضافة معلومات من مرجع آخر مثل أن يذكر المؤلف بعضاً من أوجه الجمع بين حديثين ظاهرهما التعارض فينقل القارئ أوجهاً أخرى سبق أن قرأها أوينقلها من مصدر آخر . ومن هذا الباب أيضاً أنه إذا قرأ عبارة : وفي المسألة أقوال أخرى ، يعمد إلى نقل بعض هذه الأقوال من مصادرها أو من حفظه في هامش الكتاب الذي يقرؤه ، وكذلك أن يتعقب الكاتب في أوهامه ، أو ينقد كاتباً في بعض أفكاره فيكتب مثلاً : وَهِمَ الكاتب هنا والصحيح كذا ويذكر من الذي ذكر ذلك من أهل العلم ونحو ذلك .

ـ لا تفوّت تصحيح الأخطاء المطبعية ، وكثيراً ما تكون موجودة في طبعات تجار الكتب الذين لا يخافون الله تعالى ، وكذلك في كتب المؤلفين الذين يخالفون حديث النبي ﷺ : « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه** »[1] .

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة ٤ / ٣٣٤ رقم ٥٣١٢ ـ ٥٣١٤ ، وحسنه في صحيح الجامع ١٨٨٠ .

وهذا عمل يحتاج إلى دقة وعلم كما قال القائل :

كم من كتابٍ قد تصفحتــه وقلت في نفسي قد أصلحته
حتى إذا طالعتـــه ثـانيـاً وجدت تصحيفاً فصححتـه

وقال المزني ـ رحمه الله : قرأت كتاب الرسالة على الإمام الشافعي ثمانين مرة فما من مرة إلا وكان يقف على خطأ . فقال الشافعي : هيه ـ أي حسبك واكفف ـ أبى الله أن يكون كتاباً صحيحاً غير كتابه .

وينبغي على القارئ أن يتواضع لأهل العلم ولا يستعجل بالتخطئة والتصحيح بناء على رأيه الشخصي دون أثارة من علم . وماذا نكون نحن بجانب أحد كبار العلماء وهو أبو عمرو بن العلاء الذي يقول متواضعاً لمن سبقه من أهل العلم : ما نحن فيمن مضى إلا كبقل في أصول نخل طوال[١] .

فلا ينبغي الاستعجال وإنما يصحح ما هو متأكد منه ، لأن القارئ أحياناً يظن ما ليس بخطأ خطأ ، فيصحح وتصحيحه خطأ وإنما الذي في الكتاب هو الصحيح[٢] . فالتأنِّي من الله والعَجَلَة من

---

(١) الموضح لأوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي ، ت : المعلمي : ١ / ٥ ، ط . دار الفكر الإسلامي ١٤٠٥هـ .

(٢) مثلاً يقرأ بعضهم في موضع : (تذهيب التهذيب) فيشطبها ويكتب (تهذيب التهذيب) اعتماداً منه على معرفته المحدودة ولأنه لم يسمع بكتاب اسمه (تذهيب التهذيب) وأن المعروف هو (تهذيب التهذيب)، مع أن هناك كتاباً في الرجال للحافظ الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ اسمه (تذهيب التهذيب) يختلف عن كتاب ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ (تهذيب التهذيب) ، أو يصلح اسم : الباوردي مثلاً إلى البارودي ظاناً أنه خطأ مطبعي بناءً على شهرة هذه النسبة لديه ، وحقيقة الأمر ليست كذلك فإن الباوردي نسبة إلى بلدة بنواحي خراسان يقال لها أبيورد خرج منها جماعة من الأئمة والعلماء والمحدّثين . انظر : الأنساب للسمعاني ٢ / ٦٥ .

الشيطان [١] .

ويحسن عند التصحيح استخدام قلم رفيع دقيق كقلم الرصاص مثلاً حتى يسهل محوه إذا اكتشف القارئ خطأ تصحيحه ، ويكون التصحيح فوق الكلمة أو في الهامش الجانبي مع الإشارة بخطّ أو سهم إلى موضع التصحيح . وتصحيح أخطاء الكتاب يزيد من قيمته عند صاحبه ويجعل نسخته عزيزة عنده فيتعلق بها .

ـ تقويم الكتاب بعد قراءته ، بكتابة ملاحظة على جلدة الكتاب تكون تقويماً عاماً له مع ذكر بعض الملاحظات عليه سواء فيما يتعلق بالمضمون أو الأسلوب ؛ لأن المربي والداعية الذي يُعلّم الناس يهمه أن يعرف من خلال هذا التقويم مَنْ يَصْلُح أن يُهدى إليه هذا الكتاب ومَنْ مِن المناسب أن يقرأه .

ـ تلخيص محتويات الكتاب ، وهذا مفيد في عملية التقويم السابقة ويذكِّر القارئ بمضمون الكتاب إذا احتاج للعودة إليه مستقبلاً فما هو إلا أن يقرأ التلخيص فيتذكر كثيراً من التفاصيل ، والتلخيص فن لا يُحسنه كل أحد ، فلا بد من الاستيعاب والفهم الشامل لمضمون الكتاب أولاً ، ثم تقدّر حجم التلخيص وتتحرر من عبارات الكاتب الأصلي لتصوغ بعباراتك أنت إلا إذا كانت عبارة المؤلف مهمة وتُعطي الملخص المطلوب .

وكثيراً ما يُخطىء بعض الطلاب طريقة التلخيص الصحيحة فيأتون بنتائج مضحكة فتجده يقتطع سطرين من المقدمة ويقتطع سطوراً من هنا وسطوراً من هناك ولا يبالي بترابط العبارات ومتعلقات الكلام بعضه ببعض

---

(١) وهو حديث مرفوع رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس ٤ / ٨٩ رقم ٤٣٧٦ . وهو في السلسلة الصحيحة رقم ١٧٩٥ .

ثم ينقل خاتمة المؤلف والسلام [١] .

٢١ الوصول إلى السرعة المناسبة في القراءة : إن السرعة المناسبة في القراءة تعتمد على نوع المقروء وعلى الغرض من القراءة ؛ فقراءة الجرائد أو المواد القصصية يمكن الإسراع فيها أكثر من الموضوعات العلمية العميقة كأصول الفقه مثلاً ثم إن الغرض من القراءة يؤثر في السرعة ؛ فإذا كان المقصود من القراءة الفهم تطلّب الأمر نوعاً من التأني وإذا كان المقصود مراجعة الحفظ أو قراءة الحدر فإن السرعة تزيد (القراءة السريعة قد تصل إلى ٦٠٠ كلمة في الدقيقة) وإذا كان المقصود التصفّح لتكوين فكرة عامة عن كتاب ليس في المقدور قراءته الآن فإن القارئ سيقرأ أول جملة من كل مقطع أو شيئاً من وسط كل صفحة ، وهذا حال من يبحث عن موضع معلومة سبق له قراءتها ، أو يلجأ إلى القراءة الخاطفة في كتاب ليقرر ما إذا كان يريد شراءه أم لا ، وربما يحتاج الأمر إلى شيء أسرع من ذلك كمن أراد معرفة الفكرة العامة للكتاب ؛ فهو يقرأ عناوين الفصول والفهرس وينتقي

(١) وهذا يشبه بعض ما يقوم به المتاجرون ـ اليوم ـ بكتب أهل العلم فيضيعون كثيراً من مقاصد المؤلف الأصلي وقد يغيّرون المعنى ويحرفونه بهذه المشوهات ، وكل همه أن يجعل المجلدات مجلداً واحداً ليسهل بيعه . ولا شك أن التلخيص عملية صعبة وقد تفوق في الصعوبة إنشاء كتابة جديدة في الموضوع نفسه ، ولذلك الأولى أن يُترك تلخيص كتب العلماء للعلماء ، ولو نظر طالب العلم في كيفية تلخيص كتاب الكمال في أسماء الرجال إلى كتاب تهذيب الكمال ثم تهذيب التهذيب ثم تقريب التهذيب لأدرك شيئاً مما بذله أولئك العلماء ـ رحمهم الله ـ في مجهوداتهم التلخيصية وكم يا تُرى بذل الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ من الجهد حتى اختصر عبارات العلماء في الرجال وآراءهم فيهم بكلمة واحدة .

صفحات عشوائياً للنظر فيها ويمرر أخرى بتقليب سريع .

ومن أمثلة قراءة الاستعراض ما حدث للإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ لما سئل عن دليل مسألة الإجماع فاستعرض القرآن ثلاث مرات في كلّ ليلة حتى اهتدى إلى الموضع (١) .

وإذا ما أردت معرفة هل سرعتك في القراءة مناسبة أم لا فاقرأ سراً لمدة خمس دقائق ثم قم بعدّ الكلمات وقسمة المجموع على خمسة فإن كان الناتج (١٥٠) كلمة فأقل فأنت بطيء القراءة وعليك أن تسعى لزيادة سرعة قراءتك وفيما يلي اقتراحات لبعض الخبراء :

ـ أن تقرأ خمس دقائق مثلاً كل يوم ولمدة شهر بأسرع ما تطيق تاركاً الانشغال بالمعنى مؤقتاً .

ـ توسيع نطاق النظر أثناء القراءة بإقلال زمن الوقف على رسم الكلمة الواحدة .

ـ أن تكون القراءة صامتة دون تحريك الشفتين أو رفع الصوت مع عدم الرجوع إلى الكلمة المبهمة أو تكرارها فإن معناها سيتبين غالباً من السياق والسّباق(٢) .

إذا اتبعت الخطوات السابقة فستلاحظ تحسناً في سرعة قراءتك .

أما سرعة القراءة في سِيَر العلماء فشيء عجيب ، وفيما يلي بعض

(١) وهو قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) ﴾ [النساء : ١١٥] .

(٢) أي ما قبل الكلمة وما بعدها .

الأخبار المحمِّسة :

سمع الخطيب البغدادي على إسماعيل بن أحمد الحيري بمكة صحيح البخاري في ثلاثة مجالس : اثنان منها في ليلتين ؛ كان يبتدئ بالقراءة وقت المغرب ويختم عند صلاة الفجر ، والثالث من ضحوة النهار إلى طلوع الفجر . قال الذهبي : وهذا شيء لا أعلم أحداً في زماننا يستطيعه . ولعل من أسباب تيسير ذلك بركة الزمان في ذلك الوقت [(١)] .

وجاء أيضًا أن الخطيب البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ قرأ على كريمة المروزية صحيحَ البخاري في أيام منى [(٢)] .

وقرأ ابن حجر ـ رحمه الله ـ السنن لابن ماجه في أربعة مجالس ، وقرأ صحيح مسلم في أربعة مجالس سوى مجلس الختم ، وذلك في نحو يومين وشيء فإنه كان الجلوس من بكرة النهار إلى الظهر ، وقرأ كتاب النسائي الكبير في عشرة مجالس كل مجلس منها نحو أربع ساعات وأسرع شيء وقع له أنه قرأ معجم الطبراني الصغير في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر ؛ وهذا الكتاب في مجلد يشتمل على نحو من ألف وخمسمائة حديث ، وحدّث بالبخاري في عشرة مجالس كل مجلس منها أربع ساعات [(٣)] .

وقرأ ابن حجر في مدة إقامته بدمشق ـ وكانت شهرين وثلث شهر ـ

---

(١) انظر : قواعد التحديث للقاسمي ، ص : ٢٦٢ ، تحت عنوان : ذكر أرباب الهمم الجليلة في قراءتهم كتب الحديث في أيام قليلة .

(٢) انظر : الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، للسخاوي . وزارة الأوقاف. القاهرة ص : ١٠٤ .

(٣) المرجع السابق ص : ١٠٣ .

قريباً من مائة مجلد [١] .

ونحن نعلم يقيناً أننا لا يمكن أن نقوم بمثل ذلك ، فلا زماننا كزمانهم في البركة ولا هـمَمُنا كهممهم في العلوّ . ولكن المقصود من سياق مثل هذه الأخبار إذكاءَ الحماسة في النفوس للحرص على القراءة والتصبّر والمواصلة .

فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبّه بالكرام فلاح

على أنه ينبغي التنبه إلى أن العبرة بالفهم والاستيعاب لا بكثرة الصفحات وإنهاء المجلدات ، وكثيرون أولئك الذين يعانون من سوء الفهم نتيجة للسرعة المفرطة في قراءتهم .

٢٢ اتخاذ الوضع المريح عند القراءة : وهذا مما يساعد على المواصلة والتركيز ، وفيما يلي إرشادات في هذا الشأن :

ـ أن يكون النور كافياً ؛ لأن النور الخافت يتعب العين .

ـ أن يوضع الضوء بحيث لا يلقي ظلاً على الكتاب ولا يسبب انعكاساً على صفحاته فيؤذي العين .

ـ يستحسن أن يكون وضع الكتاب بحيث يقع الضوء عليه بشكل متساوٍ .

ـ الوضع الأمثل للقراءة الذي يذكره أهل الخبرة أن يكون الظهر مستقيماً معتدلاً ، والكتاب في مستوى وسط الجسم مرفوعاً بزاوية ٤٥ درجة

---

(١) الحافظ ابن حجر ، عبد الستار الشيخ ، دار القلم ٢٨٩ .

على أنه ينبغي معرفة أن هذه المجالس المذكورة هي مجالس لقراءة العرض فلا تشمل المناقشة والبحث .

(أي نصف الوضع العمودي) ، والرأس مائل إلى الأمام قليلاً بحيث تنظر العينان بشكل مباشر إلى الكتاب ، وتكون المسافة بين العين والكتاب ٣٠ سم تقريباً .

ولا يعني ما تقدم أن لا يقرأ الشخص إلا بهذا الوضع فقد لا يتيسر دائماً، وقد كان علماؤنا ـ رحمهم الله ـ يقرؤون في ضوء القمر وعلى ضوء السراج والشمعة ، ويقرؤون وهم في حال الجلوس والقيام ، ويقرؤون وهم يمشون ، ويقرؤون وهم مضطجعون . وبعض محدثي عصرنا كان يقرأ ساعات وهو فوق السلّم . والمقصود هنا بيان الوضع المثالي الذي يمكّن الشخص من مواصلة القراءة أطول فترة ممكنة ؛ ذلك أن بعض الناس إذا جلس بكيفية خاطئة آلمته رجله أو رقبته أو عيناه فيترك القراءة . فمعرفة الكيفية المريحة من أسباب تلافي ذلك .

ـ ومن المفيد أن يأخذ الشخص راحة كلما شعر بتعب ولو لدقائق ليعود مرة أخرى .

ـ عند الشعور بضعف في البصر أو آلام أثناء القراءة ينبغي مراجعة الطبيب إن أمكن . وقد يحتاج الأمر إلى استعمال نظارة .

٢٣ اختيار الوقت المناسب للقراءة : القراءة التي تكون بعد إجهاد عقلي وإنهاك جسمي قليلة النفع شحيحة المردود ، والقراءة بعد الراحة أكثر فائدة وأعمق أثراً ، لهذا كان الوقت الذي يعقب اليقظة من النوم هو أفضل الأوقات ، ولا شك أن القراءة التي تكون بعد النوم والراحة أفضل من القراءة في حال النعاس ؛ وعلى ذلك جرى نظام جدول الحصص المدرسي .

والقراءة في البكور أولى وفيها بركة لقوله ﷺ : « **اللهم بارك لأمتي في بكورها** » (١) .

ولكن هذه الأفضلية لا تمنع من القراءة فيما تيسر من الأوقات الأخرى خصوصاً لطالب العلم النّهم ، وكذلك فإن أغلب الناس اليوم ربما لا يتمكنون من القراءة إلا في آخر اليوم قبل النوم بعد الفراغ من العمل والوظيفة وتلبية حاجات البيت فلا يجد أحدهم الفرصة سانحة إلا بعد نوم الأطفال وهدوء البيت ، وهذا حال أكثر الموظفين وأصحاب الأعمال ، فلا عليهم أن يفعلوا ذلك ويضاعفوا من القراءة في الإجازات . وتخصيص وقت معين للقراءة في اليوم والالتزام بذلك والحرص على عدم تضييعه من الأماني العظيمة التي ينبغي السعي إلى تحقيقها .

٢٤ اختيار المكان المناسب للقراءة : بأن يكون القارئ في مكان هادئ جيد التهوية بعيداً عن الضجيج والأصوات المزعجة وبعيداً عن المناظر الملهية (كالصور ، والألوان الزاهية ، والمناظر المتحركة ، والروائح الفائحة كروائح الطبخ) (٢) . ولو نظرت إلى تصميم المكتبات العامة لوجدت أن مكان الجلوس محاط بحواجز من الأمام واليمين والشمال ، لكي يبقى نظر القارئ محصوراً في كتابه فلا ينصرف ذهنه ويتشتت تركيزه .

وتبقى الإشارة إلى أن عدم توفّر مثل هذا كما في البيوت المزدحمة لا

---

(١) رواه الترمذي وغيره ، سنن الترمذي ، كتاب البيوع ، باب ما جاء في التبكير بالتجارة ، وقال الترمذي : حديث حسن ، وهو في صحيح الجامع ١٣٠٠ .

(٢) قال الخطيب ـ رحمه الله : (وأجود أماكن الحفظ الغرف وكل موضع بعيد عن الملهيات ، وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات والخضرة والأنهار وقوارع الطرق والضجيج ؛ لأنها تمنع من خلو القلب غالباً) : تذكرة السامع والمتكلم ، ص : ٧٣ .

يمنع من مجاهدة النفس في التركيز أو الخروج إلى مكان مناسب .

٢٥ منع الشواغل والصوارف : ينبغي على القارئ عدم الاستجابة إلى المقاطعات وتلبية داعي الصوارف والشواغل أثناء القراءة ؛ كرفع سماعة الهاتف كلما دقّ جرسه ، أو استقبال كل طارق للباب ، أو إجابة أي طلب لأي عمل ، إلا ما لا بدّ منه ؛ كإجابة نداء الوالدين ، وكذا كلّ عمل محمود مصلحتُه أعلى من مواصلة القراءة . وينبغي سرعة العودة إلى الكتاب حال الفراغ من الشغل الطارئ حتى لا تفتر الهمة وتنقطع العزيمة .

وينبغي أن لا تخلط القراءة بالاستماع إلى أصوات أخرى ؛ فإن القلب واحد ويصعب على الإنسان أن يجمع بين أمرين في تركيزه ، ودع عنك هراء الغربيين الكفرة الذين يقولون : الموسيقى الهادئة تساعد على القراءة ! ومساكين أولئك الطلاب المفتونون بهم الذين يجلسون للمذاكرة وهم يستمعون للموسيقى فيجمعون حشفاً وسوءَ كيلة باكتساب الإثم مع فَقْد التركيز .

وبعد هذه العلاجات والإرشادات في موضوع الحث على القراءة، وبيان كيفة الاستفادة منها ، لا بأس بالتعريج على بعض النصائح العامة المتعلقة باقتناء الكتب :

المحافظة على الكتب

ينبغي على القارئ أن يحافظ على كتابه ، سواء كان ملكاً له أو لغيره، وذلك لتستمر الاستفادة منه ، والكتاب المحفوظ المصون ينشرح الصّدر للقراءة فيه ، وكان علماؤنا ـ رحمهم الله ـ يعتنون بكتبهم اعتناءً شديداً ،

فيقول قائلهم : (لا تجعل كتابك بوقاً ولا صندوقاً) ، أي : لا تلوه على بعضه فيكون كهيئة البوق ولا تُكْثر من وضع الأشياء فيه فيكونَ بمثابة الصندوق وكلا الأمرين مما يعجّل بتلَف الكتاب . وبلغ من دقّة أهل العلم في هذا الأمر أنهم ذكروا صفة وضعه عند القراءة فمما قاله بعضهم ـ يوصي بالكتاب خيراً ـ : (وأنه لا يُفرش لكيلا يتقطع حبله بسرعة ، ولا يوضع على الأرض مباشرة وإنما فوق خشبة لئلا يبتلّ ، وإذا وضعه على خشبة وضع فوقها أو تحتها جلداً ، أو بينه وبين الحائط يضع جلداً) .

وللمحافظة على الكتاب ينبغي تلافي الأوضاع الخاطئة التي تعرّض الكتاب للتلف أو التمزق :

ومنها :

١ وضع الكتاب مقلوباً ، أو تركه مفتوحاً لفترة طويلة .

٢ فتح الكتاب بقوة ، أو فرك الصفحات باليد ، أو بلّ الأصبع باللعاب الكثير لتقليبها .

٣ وضع الكتب بعضها فوق بعض ، وإنما ينبغي أن تكون جنباً إلى جنب .

٤ وضع الكتب ذات القطع الكبير فوق الكتب ذات القطع الصغير مما يتسبّب في سقوطها وانخلاع أغلفتها .

٥ وضع الكتب بشكل مائل في المكتبة ، والصحيح أن توضع بشكل قائم .

٦ تقليب الصفحات بشدة أو بسرعة وعصبية ، وينبغي عدم اللجوء

إلى العنف والعشوائية في فتح الصفحات الملتصقة نتيجة لخطأ القصّ في المطبعة وإنما تُستخدم السكين أو الفتّاحة المخصصة لهذا الغرض ، وليكن فتح جميع الصفحات الملتصقة متوالياً حتى لا يحتاج القارئ إلى التوقف المتكرر عن القراءة .

٧ احتكاك الكتب أثناء تحريكها بجسم صلب كزوائد الخشب وأطراف الحديد .

٨ استخدام الكتب كمخدة أو مروحة أو مكبس أو مسند أو مُتَّكأ أو مقتلة للبق أو مائدة لوضع طعام أو شراب . رأى بعض الحكماء رجلاً قد جلس على كتاب ، فقال : سبحان الله يصون ثيابه ولا يصون كتابه ، لَصَونُ الكتاب أولى من صون الثياب [1] .

وينبغي حماية الكتب مما يتساقط عليها من الأطعمة والأشربة وخصوصاً أثناء السفر والرحلات والقراءة على مائدة الطعام .

٩ طي حاشية الورق أو زاويتها ليُعلِّم المكان الذي وقف عنده مثلاً وينبغي بدلاً من ذلك وضع إشارة خفيفة قابلة للإزالة ، وكان العلماء يكتبون كلمة (بلغ) للدلالة على المكان الذي وصل إليه . ويمكن وضع علامة رقيقة كورقة أو خيط في المكان الذي وصل إليه ويجتنب استخدام عود أو شيء جاف .

١٠ الكتابة بأقلام غليظة أو الكتابة بقسوة أو بقلم ريشته حادة وخصوصاً أثناء التصحيح مما يؤدي إلى تخريق صفحات الكتاب ، وكذلك من المؤسف ما يقوم به البعض من تشويه شكل الكتاب ومنظره من

---

(١) تقييد العلم ، ص : ١٤٧ .

الداخل والخارج بالإشارات الغليظة والرسوم المختلفة على الكتاب أثناء القراءة .

١١ الإهمال في استخدام الأقلام ذات الحبر السائل عند الكتابة على الكتاب وينبغي تحاشي الموادّ التي تترك أوساخاً أو آثاراً على اليد كالأحبار ؛ لأنها تنتقل عند المسك والارتكاز والحمل من يد الكاتب إلى الكتاب .

١٢ إهمال الصفحات التي تعرَّضت للشق أو الخرق، وعدم الإسراع في رتقها وإصلاحها بالشريط اللاصق . وإذا صارت غير قابلة للإصلاح فيمكن تصويرها وإلصاق الصورة .

١٣ لفّ الكتاب على شكل بوق أثناء حمله ، أو تحويل الكتاب إلى صندوق توضع فيه الأقلام والمسَّاحات وغيرها .

١٤ رمي الكتاب أو إلقاؤه من أعلى ، بل ينبغي تسليمه باليد حتى لا يتعرض للتمزيق . وهذا الخطأ يقع فيه عدد من الطلاب والمعلمين وخصوصاً عند توزيع كتب وكراريس التلاميذ .

١٥ صف الكتب أو تكديسها على الأرض مباشرة مما يعرّضها للأرضَة والرطوبة والعفونة وغيرها من عوامل التلف ، ويستحسن وضعها على لوح خشبي أو سطح عازل ، أو أن تُجعل في رفوف أو خزانات نظيفة والمبادرة عند اكتشاف كتاب بدأت الأرضَة بأكله إلى المسارعة بعزله واستخدام الأدوية المعالجة لذلك .

وقد جمع أحد الشعراء الأخطار التي تحصل للكتاب في هذين

البيتين[١] :

عليك بالحفظ دون الجمع في كتب

فإن للكتب آفــات تفرقهـــا

الـمـــاء يغرقها والنـــار تحرقهـــا

والفــأر يخرقهـا واللص يســرقها

إرشادات حول إقتناء الكتب وشرائها

إن العوامل التي تدفع الشخص لشراء كتاب ما عديدة ؛ منها :

قيمة الكتاب ، سمعة المؤلف ، جاذبية العنوان ، نصح الآخرين ، الرغبة في البحث ، الحاجة إلى الكتاب ، الرغبة في تكوين مكتبة طالب العلم ، شكل الكتاب وجودة ورقه وجمال طباعته ورخص سعره . . .

وينبغي للقارئ المسلم وخاصة طالب العلم أن يحرص على تحصيل الكتب التي يحتاج إليها ما أمكن ، شراءً أو أجرة أو إعارة .

---

(١) ومن طرائف ما يُروى في المحافظة على الكتب وأوراق العلم ما يرويه المبرِّد : أن رجلاً أتى الأصمعي فسأله أن يكتب له شيئاً من العلم فكتبه له ، فلما كان بعد أيام عاد إليه فقال : يا أبا سعيد إن ذلك القرطاس الذي كتبته لي سقط مني فأكلته الشاة ، فأحبّ أن تكتب لي غيره ثانياً ، فكتب له ، وكتب (أيضاً) :

قل لبغـــاة الآداب ما وصلت — منها إليكم فلا تُضيعوهـــا

ضمنوا علمها الدفاتر والحـبر — بحسن الكتاب أوعوهـــا

إن اشتريتم يوماً لأهلكـــم — شاة لبوناً فلا تجيعوهـــا

فإن عجزتم ولم يكـن علـف — يُشبعها عندكم فبيعوهـــا

تقييد العلم ، ص : ١٤٧ .

وفيما يلي بعض التوجيهات في موضوع اقتناء الكتب :

١ معرفة الكتب الصالحة ، وذلك بالحصول على قوائم بالكتب الجيدة من أهل العلم وسؤال أهل الخبرة والبصيرة والقدرة على التمييز واستشارتهم قبل الشراء .

٢ الاستعداد الجيد والمسبق لشراء الكتب واقتنائها ، **ومن ذلك** :

أ - إعداد قائمة بالكتب التي ترغب في شرائها الآن والكتب التي ترغب في شرائها مستقبلاً .

ب - معرفة الإمكانات المادية التي تحقق الرغبة ، وتحديد الأولويات عند الضيق وقلة ذات اليد .

جـ - تحديد المكتبات التي تريد الذهاب إليها .

د - انتهاز فرص معارض الكتاب والتخفيضات التي تجريها بعض المكتبات .

٣ الاهتمام باقتناء الكتب المتعلقة بالقرآن والحديث خصوصاً ؛ كالتفسير والشروح، وعلوم الشريعة عموماً . قال الإمام الشافعي - رحمه الله :

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا وما ... سوى ذاك وسواس الشياطين

وقال ابن القيم - رحمه الله :

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة هم أولو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي فلان

٤ الحرص على شراء كتب الأصول وكتب السلف التي لا يُستغنى عنها، ولا تحشر مكتبتك وتشوِّش فكرك بالكتب التافهة ، لا سيما

كتب أهل البدع ، فإنها سم ناقع . وعليك بالكتب التي تعتمد الدليل الصحيح والمنسوجة على فهم السلف وبيان علل الأحكام ، ومن أهم الكتب لبناء مكتبة طالب العلم كتب الحديث ودواوين السنّة المشهورة كالصحيحين والسنن الأربعة ومسند أحمد وغيرها وكتب الشيخين : شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله وغيرهما مثل :

- كتب الحافظ ابن عبد البر ، وأجلّها « التمهيد » .
- كتب ابن قدامة ، وأجلّها « المغني » .
- كتب الذهبي ، كالسير وتاريخ الإسلام .
- وكتب ابن كثير ، كالتفسير والبداية والنهاية .
- وكتب ابن رجب ، كجامع العلوم والحكم ولطائف المعارف .
- وكتب بقية الأعلام كابن حجر والشوكاني ومحمد بن عبد الوهاب والصنعاني ومحمد الأمين الشنقيطي وغيرهم من علماء هذه الأمة المخلصين العاملين في القديم والحديث .

٥ الحرص على اقتناء الكتب المحقَّقة التي تضبط النصّ وتُعنى ببيان درجة الأحاديث من حيث الصحة والضعف ككتب العلامة أحمد شاكر والألباني وكذلك الرسائل الجامعية التي خدمت عدداً من كتب العلم.

٦ اقتناء كتب الفقه والفتاوى التي تعلم المسلم أحكام العبادات .

٧ الحرص على اقتناء كتب الذين عُرفوا بفضلهم وشهد الواقع بعلمهم وحسن بلائهم في دين الله ، فهؤلاء أبعد الخلق عن غش الناس وتحصيل السمعة والدراهم .

٨ عند الشراء لمؤلفين غير معروفين يحسن انتقاء فقرات معينة لقراءتها قبل الشراء للتأكد من جودة المحتوى لئلا ينخدع المشتري بالألوان

الجذابة والطباعة الفاخرة .

٩ اقتناء الكتب ذات التجليد القوي المتين و التأكد من تماسك الغلاف .

١٠ التأكد من خلوّ الكتاب من الأوساخ وعيوب الطبع ، كأن تكون الصفحات مطوية أو مقلوبة ، وكذلك الانتباه للمسح أو النقص أو عكس الملازم وقلبها . . .

١١ قراءة فهرس الكتاب قبل شرائه لتقويمه ومعرفة أهمية ما تضمَّنه من الموضوعات والكشف عن بعض محتويات ما يشير إليه العنوان في الفهرس .

١٢ عند شراء الكتب ينبغي انتقاء الطبعات النظيفة ذات الحرف الواضح ، لأن الحرف إذا كان صغيراً جداً أتعب في القراءة ، قال بعضهم : (لا تقرمط فتندم وتُشْتَم) ، ومعنى لا تقرمط : لا تكتب بحروف صغيرة جداً ؛ فإذا احتفظت بها ثم كَبِرْتَ وضَعُفَ بصرك ندمت ، وإذا انتَقَلتْ لمن بعدك فَأَتْعَبَتْهُ تعرّضت للشتيمةَ .

١٣ الاهتمام بالكتب ذات علامات الترقيم الجيدة ، مثل الفواصل والنقط ، وكذلك الكُتُب التي فيها تقسيمات وتفريعات أو أشكال توضيحية تساعد في فهم الفكرة .

١٤ إذا اشتريت كتاباً فيه قائمة بالأخطاء المطبعية فبادر إلى نقل التصحيحات ما أمكن إلى مواضعها ؛ فإنك إذا لم تفعل فقد تقرَأ الكتاب بأخطائه وتنسى الرجوع إلى قائمة التصويبات .

١٥ إذا اشتريت كتاباً فبادر بإضافته إلى فهرس مكتبتك .

إرشادات في تكوين مكتبتك الخاصة وترتيبها

١ اختر مكانا هادئاً ونظيفاً وبعيداً عن أيدي الأطفال .

٢ احرص على التكامل والشمول في موضوعات الكتب لتغطي الفروع المختلفة (التفسير ـ الحديث ـ الفقه ـ العقيدة ـ السيرة والتاريخ ـ الأخلاق ـ الآداب ـ الرقائق ـ أصول الفقه ـ مصطلح الحديث ـ الرجال والتراجم ـ النحو والصرف ـ اللغة والشعر ـ الدعوة والتربية ـ المرأة والأسرة ـ واقع المسلمين والتيارات المعاصرة ـ كتب الثقافة العامة . . . إلخ) .

٣ احرص على اقتناء الأمهات والكتب الأساسية في كل فنّ .

٤ يراعى في وضع الكتب أن يكون أعلاها هو أشرفها ثم يراعى التدريج ، القرآن ثم الحديث ، ثم شرح الحديث ، ثم العقيدة ، ثم أصول الفقه، فالفقه ، فالنحو ، فأشعار العرب ، فإن استوى كتابان في فنٍّ معين جعل أعلاهما أكثرهما قرآناً وحديثاً ، فإن استَوَيَا فبجلالة المصنِّف فإن استويا فأقدمهما كتابة فإن استويا فأكثرهما وقوعاً في أيدي الصالحين والعلماء ، فإن استويا فأصحهما ، وهكذا .

٥ إذا حزت كتاباً فلا تدخله مكتبتك إلا بعد أن تمر عليه جرداً ، أو تقرأ المقدمة أو الفهرس ، أو تقرأ مواضع منه ، وتضعه مع نظائره في العلم . وإذا لم تفعل ذلك فربما مرّ زمان أو فات العمر دون النظر فيه (١) ، ويُقتَرح لذلك تخصيص قسم في المكتبة لوضع الكتب الجديدة التي لم تُقرأ .

٦ عمل عناوين لرفوف المكتبة في كل علم حتى يسهل وضع الكتاب في المكان المناسب .

٧ عمل فهارس للمكتبة مرتبة على :

(١) حلية طالب العلم ، ص : ٥٦ .

أ ـ الموضوع أو ب ـ العنوان أو جـ ـ المؤلف . مع الترقيم ليسهل البحث فيها والعثور على المطلوب ، هذا مع المحافظة على صحة الترتيب بالمراجعة المستمرة لمواضع الكتب الموجودة في المكتبة ولو بالنظر السريع .

٨ الاحتفاظ بنسخ مكررة من الكتب الجيدة للإهداء .

٩ عمل دفتر للإعارة لتسجيل أسماء الكتب المستعارة والمستعيرين .

آداب إعارة الكتب

ـ يستحب إعارة الكتب . قال وكيع : أول بركة الحديث إعارة الكتب .

وللإعارة آداب منها :

أ ـ شكر المعير والدعوة له بالخير ، ولا يطيل مقام الكتاب عنده من غير حاجة ، ولا يحبسه إذا طلبه المالك أو استغنى عنه . ولا ريب أن من أسباب ضعف الإعارة بين الناس عدم إرجاع الكتب إلى أصحابها وتأخيرها بدون عذر أو سبب .

ب ـ يجب على المستعير التعجيل برد الكتب التي استعارها ، ومن الأقوال في ذلك :

ـ عن يونس بن زيد قال : قال لي الزهري : يا يونس ، إياك وغلول الكتب . قال : قلت : وما غلول الكتب ؟ قال : حبسها عن أصحابها (١) .

ـ قال الخطيب : ولأجل حبس الكتب امتنع غيرُ واحد عن إعارتها .

ـ عن سفيان ـ رحمه الله ـ قال : لا تُعِرْ أحداً كتابك .

(١) تفسير القرطبي عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ... ﴾ [آل عمران : ١٦١] .

- عن الربيع بن سليمان قال : كتب إليّ البويطي : احفظ كتابك ، فإنه إن ذهب لك كتابٌ لم تجد بركة .

والقول الأوسط في الإعارة هو أن تعير من يحفظ الكتاب ويرجعه في وقته .

قال بعضهم : لا تُعر كتابك إلا بعد يقين بأن المستعير ذو علم ودين(١) .

وكان بعضهم إذا سأله إنسان أن يُعيره كتاباً قال : أرني كتبك ، فإن وجدها مصونة مكنونة أعاره وإن رآها مغبرة متغيرة منعه(٢) .

وقال الشاعر :

أيها المستعير مني كتابا ... إن رددت الكتاب كان صوابا
أنت والله إن رددت كتابا ... كنت أعطيته أخذت كتابا

جـ - لا يجوز إصلاح الكتاب بغير إذن صاحبه ، ولا يكتب شيئاً في بياض فواتحه وخواتمه إلا إذا علم رضى صاحبه أو استأذن لذلك ، ولا يعيره غيره إلا بإذنه ، ويحفظه من الماء والأوساخ والعبث .

د - على المستعير أن يتفقَّد الكتاب قبل أخذه وقبل رده حتى يتأكد من سلامته .

---

(١) تقييد العلم ، ص : ١٤٦ .
(٢) تقييد العلم ، ص : ١٤٧ .
ومن طرائف ما يُروى في إعارة الكتب واستعارتها والمحافظة عليها أن رجلاً استعار من أبي حامد الإسفراييني كتاباً ، فرآه أبو حامد يوماً وقد أخذ عليه عنباً . ثم إن الرجل سأله بعد ذلك أن يُعيره كتاباً ، فقال : تأتيني إلى المنزل ، فأتاه ، فأخرج الكتاب إليه في طبق وناوله إياه ؛ فاستنكر الرجل ذلك ، وقال : ما هذا ؟ فقال له أبو حامد : هذا الكتاب الذي طلبته وهذا طبق تضع عليه ما تأكله . فعلم بذلك ما كان من ذنبه .
وسأل رجلٌ رجلاً أن يعيره كتاباً فقال : عليّ يمين ألا أعير كتاباً إلا برهن ، قال : فهذا كتاب استعرته من فلان فأتركه رهنا عندك . فقال : أخاف أن ترهن كتابي كما رهنت كتاب غيري . تقييد العلم ، ص : ١٤٧ .

الخاتمــة

وخلاصةً لكل ما تقدم فإن موضوع القراءة يحتاج إلى أمرين اثنين :

- الصبر والمجاهدة ؛ ليصبح المسلم قارئاً جيداً ومثابراً .
- والإخلاص ؛ كي يستفيد مما يقرأ ويستقر العلم في صدره ويثاب على فعله .

والله المسؤول أن يرزقنا العلم النافع والحرص على تحصيله وأن ينفعنا بما نقرأ ويزيدنا علماً ، إنه خير مسؤول وأكرم مأمول .

والله الهادي إلى سواء السبيل

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

محمد صالح المنجد

الخبر ـ ص . ب ٢٩٩٩

الفهرس

الموضــوع | الصفحة

★ ★ ★ ★ ★

توزيـــع :

مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان

الرياض ١١٤٣١ ـ ص . ب : ١٤٠٥

☎ ٤٠٢٢٥٦٤ ـ فاكس ٤٠٢٣٠٧٦